التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي ـ مملكة البحرين SDPA 499 العدد 221 السنة 24 ـ إبريل 2026

حقوق العمال في ظروف الأزمات

موقفنا

المهة الأكبر: صون وحدة مجتمعنا

فيما يواجه وطننا الغالي البحرين، وكذلك البلدان الخليجية الأخرى الشقيقة، تحديات وتبعات الحرب الدائرة في الإقليم، فإنّ الأمر لا يقتصر على التحدي الآتي من خارج الحدود فقط، بل يتسلل إلى داخل المجتمع في صورة أسئلة كبرى: كيف نحمي نسيجنا الاجتماعي ونصون وحدتنا من رياح الاستقطاب؟، ففي مثل هذه اللحظات، يصبح التآزر الوطني ضرورة وجودية.

المجتمع البحريني، بما راكمه من تجارب تاريخية يدرك أنّ التنوع ليس مصدر ضعف، بل عنصر غنى، شرط أن يُدار بروح الشراكة لا بمنطق الانقسام. وقد أثبتت تلك التجارب أنّ الانزلاق إلى الاصطفافات الطائفية والمذهبية يفتح الباب أمام قوى خارجية لتغذية الانقسام واستثماره.

مع اندلاع نيران الحرب التي طاولت نيرانها بلدنا، وأوقعت دماراً وضحايا أبرياء، تتجدد الحاجة إلى استحضار دروس الماضي، فالمجتمعات التي لا تتعلم من تجاربها المؤلمة، محكوم عليها بإعادة إنتاجها بصورة أكثر قسوة، وتجاربنا السابقة تظهر أنّ الخطاب التحريضي، مهما بدا عابراً، يترك ندوباً عميقة في الوعي الجمعي، ويقوّض الثقة بين مكونات المجتمع.

إنّ مواجهة تداعيات الحرب في المنطقة تتطلب بالإضافة إلى الاستعدادات الأمنية والاقتصادية التي تقوم بها الدولة على خير وجه، ترسيخ خطاب وطني جامع، يعلو على الانتماءات الفرعية، ويؤكد أنّ مصير الجميع واحد، لذا فإنّ الإعلام والمؤسسات التعليمية، والقوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني مدعوّة إلى تعزيز هذا الوعي، عبر نبذ لغة الكراهية، وتكريس قيم الوحدة والتآزر، والمسؤولية لا تقع على المؤسسات وحدها، بل تمتد إلى كل فرد في المجتمع. فالكلمة غير المسؤولة التي تُقال في مجلس، أو تُكتب على منصة رقمية تصبح شرارة للفرقة، فيما الكلمة المسؤولة بمثابة جسرٍ للوحدة.

وطننا طير من جناحين، ليس بوسعه أن يحلّق نحو المستقبل بجناح واحد، وهذا ما أكدت عليه الجمعيات السياسية في بيانها المشترك الذي أدانت فيه الاعتداءات الإيرانية على بلدنا والبلدان الشقيقة الأخرى والمساس بسيادتها وأمنها واستقرارها، رافضة محاولات زج دول الخليج في صراعات إقليمية، مشدّدةً على أهمية وحدة الصف الوطني وتماسك الجبهة الداخلية، ورفض الخطاب التحريضي والطائفي، مؤكدةً أن التنوع المجتمعي يمثل عنصر قوّة، وداعية لتعزيز الوعي المجتمعي لمواجهة الأخبار المضللة.

التقدمي

الجمعيات السياسية تدين الهجمات الإيرانية وترفض المساس بسيادة الدولة

أدانت عدد من الجمعيات السياسية في مملكة البحرين الهجمات الإيرانية الأخيرة التي استهدفت أهدافًا مدنية، مؤكدة رفضها القاطع لأي اعتداء يطال البحرين أو دول الخليج العربي، أو يمس بسيادتها وأمنها واستقرارها.
وشددت الجمعيات، في بيان مشترك، على أن موقفها يأتي انطلاقًا من مسؤوليتها الوطنية وحرصها على أمن البحرين والمنطقة، مؤكدة رفضها لأي محاولات لزج دول الخليج في صراعات إقليمية.
وأشادت بالدور الذي تقوم به قوة دفاع البحرين والأجهزة الأمنية في حماية الوطن، معربة عن ثقتها في الإجراءات الرسمية المتخذة لحماية الأرواح والممتلكات، وداعية في الوقت ذاته إلى الالتزام بالتعليمات الرسمية وتجنب تداول الشائعات التي قد تؤثر على تماسك الجبهة الداخلية.
وأشار البيان إلى أن التصعيد الحالي في المنطقة يمثل تهديدًا مباشرًا للأمن الإقليمي والعربي، محذرًا من تداعياته على استقرار المنطقة، ومؤكدًا ضرورة التصدي لأي تدخلات خارجية تستهدف زعزعة أمن دول الخليج.
وأكدت الجمعيات في بيانها جملة من المواقف، أبرزها رفض الهجمات بكافة أشكالها، والتمسك بحق البحرين ودول الخليج في الدفاع عن أمنها وفق القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، إلى جانب الدعوة لوقف التصعيد واللجوء إلى الحلول السياسية والدبلوماسية.
كما شددت على أهمية وحدة الصف الوطني وتماسك الجبهة الداخلية، ورفض الخطاب التحريضي والطائفي، مؤكدة أن التنوع المجتمعي يمثل عنصر قوة، مع ضرورة تعزيز الوعي المجتمعي لمواجهة الأخبار المضللة.
وجددت الجمعيات تأكيدها على وقوفها إلى جانب شعب البحرين وقيادته، وتمسكها بخيار السلام العادل والشامل، مشددة على أن أمن الخليج مسؤولية جماعية تتطلب التعاون والاحترام المتبادل بين الدول.
ووقع على البيان كل من: المنبر التقدمي، والمنبر الوطني الإسلامي، وتجمع الوحدة الوطنية، والوسط العربي الإسلامي، والصف الإسلامي، والتجمع الوحدوي، والتجمع القومي.

جنان والعصفور

وسط الركام تمشي الطفلة جنان مبتسمة، ممسكة بقفص عصفورها، وكأنها تحمل معها قطعةً من عالمها الذي دُمر، بعد أن اضطرت لمغادرة منزلها الذي انهار من جراء القصف. الجدران مشققة، السيارات مدمرة، تلتفت إلى الخلف لترى إن كان الدخان ما زال يطارد ظلها الصغير. لا تبكي. الدموع صارت أغلى من أن تُهدر على بيوت تموت. يشاركها عصفورها الصمت مدارياً خوفه، ربما لشعوره أن أمامهما طريق يقودهما نحو الأمان.
حين أصرّت جنان السيد حسن على أخذ العصفور كانت تعرف، بفطرتها الصغيرة، أنّ هناك أشياء لا تُترك خلفنا: صوتٌ اعتدناه، ريشةٌ صفراء، ارتعاشةُ جناح.
المشهد كله لا يشبه شيئاً. طفلة بحجم بندقية، تحمل عصفوراً بحجم وطن، تهرب من نار صنعها كبار لا يعرفون أنّ الأرض تحت أقدام الصغار لا تحتمل إلا الحكايات الجميلة. تسأل العصفور همساً: "هل سنعود يومًا؟" فيُغرد: "نعم" سنعود.
العصفور في القفص رمزٌ للحياة التي تصرّ على الاستمرار رغم القصف والدمار. أما جنان فتعلمنا أنّ الأمل يمكن أن يكون أصغر الأشياء، ابتسامة، عصفور، أو حتى خطوة واحدة إلى الأمام بين الركام. في وسط الدمار، تُذكّرنا هذه اللحظات الصغيرة أنّ الحياة مهما كانت قاسية تجد دائماً طريقها إلى النور.
كأن الطفولة الصامتة في الصورة تقول لنا: يمكن أن تدمّر الحرب البيوت والطرق، لكنها لا تستطيع تدمير الحياة، ولا الأمل، ولا القلب الذي يريد الطيران.
وفي رسمه للمشهد جعل الفنان خالد الهاشمي المنقار الهائل الممدود نحو الطفلة أسود كثقل السماء حين تغضب، ولم ترتعب كما يُتوقع من طفلة. فقط حدّقت. كأنها تسأل: لماذا تريدون كل هذا؟ لماذا لا تتركون لي عصفوري على الأقل؟
قطرة الدم التي تسيل من طرف المنقار لم تكن تخيفها بقدر ما كانت تُحيّرها: من أين تأتي كلّ هذه الدماء؟

في اليوم العالمي للمرأة

التقدمي: تحديات تشريعية واقتصادية تواجه المرأة في البحرين والمنطقة

أكد قطاع المرأة في المنبر التقدمي، بمناسبة اليوم العالمي للمرأة الذي يصادف الثامن من مارس، أن هذه المناسبة تمثل محطة متجددة للنضال من أجل الحقوق والكرامة والعدالة، مشددًا على أهمية الانتقال من الشعارات إلى سياسات فعلية تضمن المساواة والتمكين الحقيقي للمرأة.

وأشار القطاع، في بيان له، إلى أن الاحتفاء باليوم العالمي للمرأة يأتي هذا العام تحت شعار "الحقوق.. العدالة.. العمل – من أجل جميع النساء والفتيات"، باعتباره مناسبة للاعتراف بدور المرأة كشريك أساسي في بناء الأسرة والمجتمع، وللتأكيد على حقها في التمتع الكامل بحقوقها الإنسانية، وفي مقدمتها الحق في العمل اللائق والاستقلال الاقتصادي.

وأوضح البيان أن تمكين المرأة لا يتحقق عبر الخطاب النظري، بل من خلال تبني سياسات واضحة وتشريعات عادلة تضمن المشاركة الكاملة للمرأة في التنمية وصنع القرار، مؤكدًا أن المساواة تمثل حقًا أصيلًا وليست مطلبًا أخلاقيًا فقط.

وفي سياق متصل، لفت القطاع إلى الأوضاع الإنسانية المعقدة التي تعيشها النساء في عدد من دول المنطقة، خاصة في ظل النزاعات المسلحة والحروب، مشيرًا إلى أن النساء غالبًا ما يكنّ الأكثر تضررًا من تداعيات الحروب، سواء من حيث فقدان أفراد الأسرة أو التهجير أو الأعباء الاجتماعية المتزايدة. وأكد أن حماية حقوق المرأة ترتبط بشكل وثيق بترسيخ السلام والاستقرار.

كما أشار البيان إلى ما تواجهه المرأة العربية من تحديات استثنائية في عدد من الدول، من بينها فلسطين والسودان ولبنان وسوريا، حيث تعاني النساء من تداعيات النزاعات، بما في ذلك العنف والتهجير وتدهور الظروف المعيشية.

وجدد القطاع تضامنه مع نساء غزة في ظل الظروف الإنسانية الصعبة التي يعشنها.

وعلى الصعيد المحلي، أكد قطاع المرأة أن المرأة البحرينية حققت تقدمًا ملحوظًا في مختلف المجالات، إلا أنها لا تزال تواجه عددًا من التحديات، أبرزها ارتفاع معدلات البطالة بين النساء، حيث تشكل النساء نسبة كبيرة من إجمالي الباحثين عن عمل، لا سيما بين خريجات الجامعات.

كما أشار البيان إلى وجود قصور في بعض القوانين والتشريعات التي تعيق حصول المرأة على كامل حقوقها، بما في ذلك قوانين الأحوال الشخصية والجنسية وبعض التشريعات ذات الصلة بالمشاركة المجتمعية.

ودعا القطاع، في هذا الإطار، إلى اتخاذ عدد من الإجراءات، من بينها وضع حلول جذرية لمشكلة البطالة، وتعزيز مبدأ تكافؤ الفرص، ومراجعة القوانين التي تتضمن أوجه تمييز ضد المرأة، بما يحقق العدالة والمساواة، إضافة إلى دعم مشاركة المرأة في مؤسسات المجتمع المدني.

وأكد البيان في ختامه أن اليوم العالمي للمرأة يمثل فرصة للتقييم والعمل، وتجديد الالتزام بدعم حقوق المرأة وتمكينها اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا، مشددًا على أن تحقيق العدالة الاجتماعية يرتبط بإنصاف المرأة ومنحها كامل الفرص بوصفها شريكًا أساسيًا في بناء الحاضر وصناعة المستقبل.

فضفضة

اختبار الوحـــدة

عيسى الدرازي

في الأزمات الكبرى، تميل المجتمعات بحسب علم الاجتماع إلى «تضييق الدائرة» بحثاً عن الأمان؛ من الوطن إلى الجماعة الأصغر فالأصغر. محلياً، يتكرر مشهد التباين في المواقف عند كل منعطف، بما يكشف أن المشكلة ليست في الحدث، بل في بنية الثقة داخل المجتمع.

تفسّر نظريات الهوية الاجتماعية أن الأفراد ينحازون في الأزمات إلى الإطار الذي يشعرون أنه يمثلهم ويحميهم. فإذا كانت الهوية الوطنية جامعة ومستقرة، يتوقف الانحياز عندها. أما إذا كانت غير ذلك أو غير مكتملة الاندماج، فإن الفرد يعود إلى هويات فرعية. لذلك، فإن غياب الاصطفاف الكامل لا يعني غياب الانتماء، بل يشير إلى حاجة هذا الإطار الوطني إلى مزيد من التعزيز.

التجارب متوفرة في شرق العالم وغربه وشمالاً وجنوباً وهي تقدّم درساً واضحاً مفاده بأن المجتمعات التي نجت من أزمات كبرى لم تفعل ذلك إلا عندما نجحت في بناء حد أدنى من الوحدة الوطنية، بحيث يُنظر إلى التهديد على أنه يستهدف الجميع دون استثناء. هذه الوحدة لا تعني إلغاء الاختلاف، بل تعني تأجيله أمام الخطر المشترك، وتحويله إلى نقاش مؤسسي بعد تجاوز الأزمة. في المقابل، فإن استمرار الانقسام أثناء الأزمات يضعف الجبهة الداخلية ويضاعف كلفة المواجهة.

في الحالة البحرينية، لا يمكن فصل الحاضر عن الماضي. أحداث وتراكمات سابقة لم تُغلق اجتماعياً بشكل كامل، وبقيت سردياتها متباينة، ما يجعلها تعود إلى السطح عند كل أزمة. كما أن الثقة في المؤسسات تلعب دوراً حاسماً؛ إذ إن الالتفاف حول الدولة لا يُفرض، بل يُبنى عبر شعور متراكم بالعدالة والتمثيل والشفافية.

تعزيز الوحدة الوطنية مسؤولية مشتركة، يبدأ من الدولة بوصفها الإطار الجامع. ويتطلب ذلك خطوات واضحة، في مقدمتها التعامل الحازم والمتساوي مع خطابات الكراهية والتحريض، وتعزيز العدالة في الإجراءات والفرص، والعمل على إغلاق الملفات العالقة بطريقة متدرجة ومسؤولة، إلى جانب تبني خطاب وطني جامع لا يقصي أحداً. في المقابل، تقع على المجتمع بمختلف مكوناته مسؤولية إدراك أن اللحظات الحرجة تتطلب تغليب المصلحة العامة، وأن الاختلاف مشروع وصحي طالما لا يتحول إلى خلاف بحيث يصبح عاملاً لإضعاف الداخلي في قبالة التهديد الخارجي. فالوحدة الوطنية ليست شعاراً يُرفع عند الحاجة، بل هي شرط أساسي للنجاة. والأزمات لا تصنع هذه الوحدة، بل تختبرها. ومن دون بناء حقيقي للثقة، ستظل كل أزمة مناسبة جديدة لظهور الانقسام، بدلاً من أن تكون فرصة لتعزيزه.

إيمـان شـويطـر: المـرأة في مقـدّمـة مـواجهـة الأزمـات

أكدت عضو كتلة تقدّم النائب إيمان شويطر أن المرأة تظل في طليعة الصفوف خلال الأزمات، مشيدة بدورها في حماية الأسرة والتخفيف من آثار التحديات الراهنة التي تشهدها مملكة البحرين والمنطقة، وذلك بمناسبة اليوم العالمي للمرأة.

وأوضحت شويطر، في تصريح لها، أن هذه المناسبة تمر في ظل ظروف إقليمية صعبة تلقي بظلالها على الأمن والاستقرار، مشيرة إلى أن المرأة تتحمل العبء الأكبر في مثل هذه الظروف، حيث تضطلع بدور أساسي في احتواء آثار الأزمات داخل الأسرة والمجتمع.

وأعربت عن تقديرها للمرأة في البحرين ودول الخليج والدول العربية، مؤكدة أنها كانت ولا تزال عنصرًا فاعلًا في مواجهة التحديات، ومساهمة رئيسية في تعزيز التماسك الاجتماعي.

ودعت شويطر إلى ضرورة تغليب لغة العقل والحوار، والعمل على خفض التصعيد عبر الحلول الدبلوماسية، بما يسهم في تحقيق الاستقرار وتجنب الانزلاق نحو مزيد من التوترات في المنطقة، مؤكدة أهمية توفير بيئة آمنة للمرأة وأسرتها في ظل الأوضاع الراهنة.

كما أشادت بالدور الذي تقوم به الأجهزة الأمنية في الحفاظ على أمن وسلامة المواطنين والمقيمين، مثمنة جهودها في تعزيز الاستقرار الداخلي.

شـويطـر: تطبيـق البكـالـوريا الـدوليـة
نقلـة نـوعيـة تعـزز تنافسيـة التعليـم فـي البحـرين

أشادت النائب إيمان شويطر بإعلان وزارة التربية والتعليم تطبيق برنامج البكالوريا الدولية في المدارس الحكومية، مؤكدة أن هذه الخطوة تمثل نقلة نوعية في مسار تطوير التعليم في مملكة البحرين وتعزز تنافسيته على المستوى الدولي.

وأوضحت أن اعتماد البرنامج يعكس التزام الوزارة برفع جودة مخرجات التعليم وتوفير فرص أكاديمية متقدمة للطلبة، بما يواكب أفضل الممارسات العالمية في المجال التعليمي.

وأضافت أن البرنامج يحظى باعتراف واسع من الجامعات الدولية، ويركز على تنمية مهارات التفكير الناقد والبحث المستقل وبناء المعرفة الشاملة، بما يسهم في إعداد الطلبة لمتطلبات التعليم العالي.

إحلال التمريض ممكن وفق نموذج التعليم

عبدالنبي سلمان يطالب بخطة ملزمة لاستيعاب 600 طبيب بحريني

أكد عضو كتلة تقدّم النائب عبدالنبي سلمان أن ملف توظيف الكوادر الصحية الوطنية لا يزال يواجه تحديات، مشيرًا إلى وجود أكثر من 600 طبيب وطبيبة بحرينيين من الباحثين عن عمل.

ودعا إلى إطلاق برامج دعم لتدريب الأطباء في المستشفيات الخاصة عبر "تمكين"، مع تعزيز التنسيق والإلزام في توظيف الكوادر الوطنية، في ظل ضعف المتابعة للمبادرات الحكومية القائمة.

كما شدد على أهمية وضع خطة وطنية واضحة لإحلال البحرينيين في قطاع التمريض، مشيرًا إلى أن البحرين تمتلك قاعدة تعليمية قوية عبر كلية العلوم الصحية التي تخرج مئات الممرضين سنويًا.

وأوضح أن التحدي يكمن في ضعف الإقبال على بعض التخصصات الحيوية، خصوصًا في أقسام الحالات الحرجة، داعيًا إلى تقديم حوافز مالية ومعنوية لتعزيز الإقبال.

وأشار إلى أن تجربة إحلال المعلمين في وزارة التربية والتعليم تمثل نموذجًا ناجحًا يمكن تطبيقه في القطاع الصحي، مؤكدًا أن تحقيق الاكتفاء الذاتي في التمريض ممكن عبر خطة تنفيذية ملزمة وتنسيق مؤسسي فعال.

سلمان: الحد الأدنى المعيشي يجب ألا يقل عن 725 دينارًا

أكد النائب عبدالنبي سلمان أن الأرقام المعتمدة للحد الأدنى للمعيشة في البحرين لم تعد تعكس الواقع الاقتصادي، مشيرًا إلى أن الرقم الحالي البالغ 336 دينارًا لم يتم تحديثه منذ أكثر من 25 عامًا.

وأوضح أن دراسات لجنة الدعم خلصت إلى أن الحد الأدنى العادل لمعيشة الأسرة ينبغي ألا يقل عن 725 دينارًا، مع طرح بديل عند 528 دينارًا، إلا أن هذه المقترحات لم تعتمد. وأشار إلى أن استمرار الاعتماد على أرقام قديمة يؤثر على دقة السياسات وبرامج الدعم، داعيًا إلى مراجعة شاملة لسياسات الأجور والدعم، وفتح حوار جاد بين السلطتين التنفيذية والتشريعية.

الشويخ يدعو لتنظيم السياحة العلاجية وتوطين الوظائف الصحية وإقرار استراتيجية للصناعات الدوائية

دعا النائب الدكتور مهدي الشويخ إلى تبني رؤية متكاملة لتطوير القطاع الصحي في البحرين، تشمل تنظيم السياحة العلاجية، وتعزيز توطين الوظائف، وتطوير الصناعات الدوائية.

وطالب بتأسيس لجنة عليا مستقلة للسياحة العلاجية تضم الجهات المعنية، بهدف وضع إطار وطني ينظم هذا القطاع ويعزز ثقة المرضى ويرتقي بجودة الخدمات الصحية وفق المعايير العالمية.

وأكد أن السياحة العلاجية تمثل منظومة متكاملة تبدأ بجودة العلاج، وتمر بتسهيل الإجراءات والخدمات، وتنتهي بمتابعة المريض، محذرًا في الوقت ذاته من التوسع غير المنظم في منح التراخيص للمراكز الطبية دون دراسات واضحة، لما لذلك من انعكاسات على جودة الخدمات وسمعة المملكة.

وفي سياق متصل، شدد الشويخ على أهمية توطين وظائف التمريض، مشيرًا إلى وجود كوادر بحرينية في القطاع الخاص يمكن استيعابها في القطاع الحكومي عبر خلق شواغر جديدة أو إعادة هيكلة الوظائف.

كما أشاد بخطوات دعم تدريب الأطباء، لا سيما إتاحة التدريب لأطباء القطاع الخاص في المستشفيات الحكومية، داعيًا إلى توسيع هذه الفرص لتشمل مؤسسات صحية أخرى وفق معايير مهنية واضحة.

وفيما يتعلق بالصناعات الدوائية، دعا إلى إنشاء مناطق صناعية متخصصة للأدوية والغذاء، مؤكدًا أن هذه الصناعات تتطلب بيئة تنظيمية خاصة، ومشددًا على ضرورة وضع استراتيجية وطنية لتعزيز الأمن الدوائي والغذائي.

..و يطالب بحلول لفواتير الكهرباء والماء للأسر الممتدة وينتقد رد الوزارة

طالب عضو كتلة تقدّم النائب الدكتور مهدي الشويخ الحكومة بإيجاد حلول لمعالجة ارتفاع فواتير الكهرباء والماء على الأسر الممتدة، منتقدًا رد وزارة الكهرباء والماء على سؤاله البرلماني، ومشيرًا إلى أنه لم يعكس جوهر الاستفسار.

وأوضح أن عدد الحسابات التي يتجاوز استهلاكها 5000 كيلوواط خلال الصيف شهد ارتفاعًا ملحوظًا، من نحو 23 ألف حساب في يونيو إلى أكثر من 52 ألفًا في سبتمبر، ما يعكس اتساع شريحة المتأثرين.

وأشار إلى أن بعض الأسر لا تزال تتحمل كلفة مرتفعة للاستهلاك الذي يتجاوز 7000 وحدة، رغم التراجع عن بعض شرائح التسعير، لافتًا إلى أن المشكلة تتفاقم لدى الأسر الممتدة التي تعيش تحت عداد واحد.

ودعا إلى مراجعة آليات احتساب التعرفة، عبر استمرار الدعم للفئات المتأثرة، وتسهيل فصل العدادات، وتسريع توفير السكن المناسب.

نقابة عمال أسري تؤكد تعزيز التعاون مع الإدارة وتناقش ظروف العمل والزيادة السنوية

أكدت نقابة عمال أسري أهمية تعزيز التعاون مع إدارة الشركة في ظل الظروف الراهنة، بما يسهم في الحفاظ على استقرار العمل وحماية حقوق العمال، وذلك خلال اجتماعها الشهري مع الفريق التفاوضي الممثل للإدارة.

وخلال الاجتماع، شدد رئيس النقابة عبدالله المسجن على أهمية الإجراءات الاحترازية التي تتخذها الشركة لمواجهة التحديات الحالية، مؤكدًا التزام النقابة بالعمل المشترك مع الإدارة لتجاوز هذه المرحلة.

وتناول الاجتماع عددًا من الملفات، أبرزها ظروف العمل الحالية، حيث تم التأكيد على ضرورة توسيع نطاق الإجراءات الاحترازية، مع مراعاة الجوانب الإنسانية للعمال المتأثرين بالأوضاع الراهنة في المنطقة.

كما ناقش الطرفان موضوع الزيادة السنوية، حيث أكدت النقابة تمسكها بحق العمال في الزيادة، وأبدت ملاحظاتها بشأن آلية احتسابها والتقييم السنوي لهذا العام.

وفيما يتعلق ببرامج التدريب، تم التأكيد على أهمية استمرارها خلال هذه الفترة، مع اتخاذ التدابير اللازمة لضمان تنفيذها بقدر الإمكان.

الاتحاد الدولي للنقابات: تمكين النساء من العدالة يعزز الديمقراطية ويكشف تحديات مستمرة في سوق العمل

أكد الاتحاد الدولي للنقابات أن تمكين النساء من الوصول إلى العدالة يمثل عنصرًا أساسيًا في تعزيز الديمقراطية، مشيرًا إلى أن يوم المرأة العالمي لعام 2026 يأتي في ظل تحديات متزايدة تواجه حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين على المستوى العالمي.

وأوضح الاتحاد، في بيان بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، أن النساء لا يزلن يواجهن أشكالًا متعددة من التمييز في سوق العمل، من بينها فجوات الأجور، وضعف الحماية من العنف والتحرش، إضافة إلى محدودية فرص الوصول إلى مواقع صنع القرار.

ودعا إلى اتخاذ إجراءات عاجلة لتعزيز حقوق المرأة العاملة، بما يشمل ضمان الأجر المتساوي للعمل المتساوي، وتطبيق معايير العمل الدولية، وتوفير بيئة عمل آمنة خالية من التمييز.

كما شدد على أهمية تعزيز تمثيل المرأة في مواقع القيادة، بما في ذلك داخل النقابات العمالية، مؤكدًا أن ذلك يشكل خطوة أساسية نحو تحقيق المساواة الفعلية في عالم العمل.

وأشار الاتحاد إلى ضرورة تسريع تنفيذ الالتزامات الدولية المتعلقة بحقوق المرأة، في ظل ما وصفه بتصاعد التحديات التي تواجه الديمقراطية وحقوق الإنسان، داعيًا الحكومات إلى تبني سياسات أكثر فاعلية لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة.

منظمة العمل العربية: التصعيد يهدد سلامة العمال ويضغط على فرص العمل والمعيشة

حذّرت منظمة العمل العربية من تداعيات التصعيد في المنطقة على أوضاع العمال، مؤكدة أن استهداف المنشآت الحيوية والبنى التحتية يعرّض سلامة العاملين للخطر ويؤثر سلبًا على أسواق العمل.

وأوضحت المنظمة أن تعطّل مرافق المياه والطاقة والموانئ والمطارات يؤدي إلى تراجع النشاط الاقتصادي وارتفاع تكاليف التشغيل، ما ينعكس على فرص التوظيف ومستويات الدخل، ويزيد من الضغوط المعيشية على العمال، خصوصًا في ظل ارتفاع أسعار السلع والخدمات.

كما أشارت إلى أن اضطراب سلاسل الإمداد وارتفاع تكاليف الشحن والتأمين يفاقمان من كلفة المعيشة، ويهددان سبل العيش للفئات الأكثر تأثرًا.

ودعت المنظمة إلى اتخاذ إجراءات عاجلة لحماية العمال، وضمان بيئات عمل آمنة، واستمرار تشغيل المرافق الحيوية، مرحبة بقرار مجلس الأمن الداعي إلى وقف الهجمات، ومؤكدة أهمية التحرك الدولي لحماية العاملين واستقرار أسواق العمل.

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

كاريكاتير
خالد الهاشمي

الاتحاد الدولي للنقابات يبحث أوضاع عمال المنطقة ويؤكد التضامن مع نقابات الشرق الأوسط والخليج

عقد الأمين العام للاتحاد الدولي للنقابات، لوك تراينغل، اجتماعًا تنسيقيًا مع المنظمات النقابية الأعضاء في منطقة الشرق الأوسط والخليج، لمناقشة أوضاع العمال في ظل التصعيد العسكري الذي تشهده المنطقة، وتعزيز التنسيق النقابي خلال المرحلة الراهنة.

وأكد تراينغل، خلال الاجتماع، تضامن الحركة النقابية العالمية مع عمال المنطقة، مشددًا على وقوف الاتحاد إلى جانب منظماته الأعضاء في مواجهة التحديات الناتجة عن التطورات الحالية، ومؤكدًا التزام الحركة النقابية بمبادئ الدفاع عن السلام واحترام القانون الدولي وحق الشعوب في العيش بأمن وكرامة.

وأشار إلى أن النزاعات المسلحة تسهم في تعميق الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وتهدد فرص العمل والاستقرار، كما تزيد من هشاشة أوضاع العمال، خصوصًا العمال المهاجرين والعاملين في القطاعات غير المستقرة.

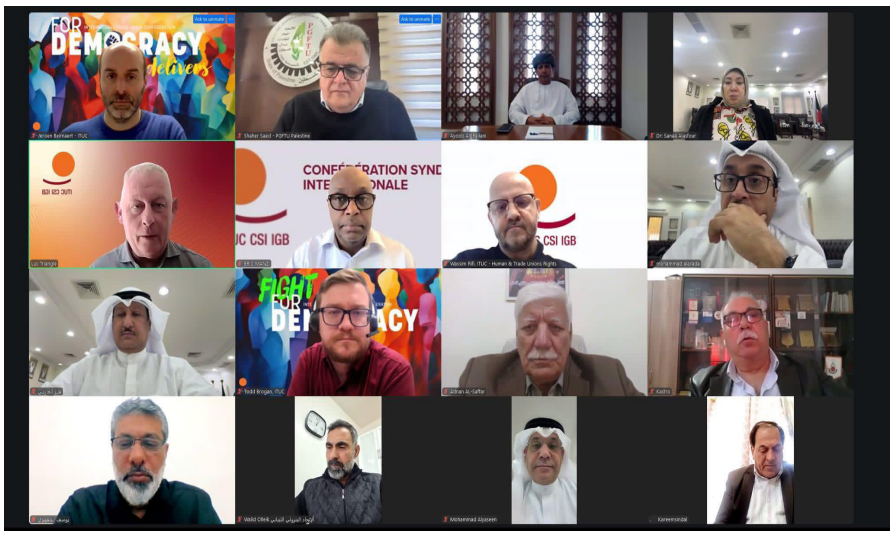

ودعا إلى تعزيز وحدة الصف النقابي الدولي وتكثيف التعاون بين النقابات، بما يسهم في حماية العمال والدفاع عن العدالة الاجتماعية في ظل الأزمات المتصاعدة.

من جانبهم، أعرب ممثلو النقابات في عدد من الدول، من بينها البحرين والكويت والعراق ولبنان وعُمان وفلسطين واليمن، عن تقديرهم لهذه المبادرة، مؤكدين أهمية استمرار التنسيق مع الحركة النقابية الدولية لمواجهة التحديات المشتركة.

واستعرضت النقابات المشاركة الإجراءات التي اتخذتها لحماية العمال خلال الفترة الحالية، مع التأكيد على ضرورة دعم الفئات الأكثر هشاشة، وفي مقدمتها العمال المهاجرون، وضمان حقوقهم دون تمييز.

وأكد المشاركون في ختام الاجتماع أن التضامن النقابي الدولي يظل ركيزة أساسية لحماية حقوق العمال وتعزيز الاستقرار الاجتماعي في أوقات الأزمات.

بصراحة

النقابي عباس عواجي يتذكر ما قاله وزير العمل عام ١٩٧٣

في مارس من عام ١٩٧٣ قاد النقابي المخضرم عباس عواجي «أبو بدر» أطال الله في عمره، بمعيّة رفيقه النقابي الراحل عبدالجليل الحوري، ونقابيين آخرين «مسيرة العاطلين» التي سارت في وسط المنامة، منطلقة من أمام مبنى وزارة العمل القديم في العاصمة بالقرب من حديقة الأندلس وقصر الضيافة في القضيبية، ومرَّت على شارع القصر المعروف شعبياً آنذاك باسم "شارع الحب"، وانتهت أمام مقر الحكومة الذي كان يعرف بالسكرتارية، والواقع في شارع الحكومة بالقرب من مجمع البحرين الدولي (مبنى الشيراتون)، وفي اليوم الثاني التقى ممثلون عن العمال العاطلين مع وزير العمل آنذاك المرحوم إبراهيم حميدان في مكتبه بالوزارة، حيث قدّموا له رسالة تضمنت مطالب العمال، ومن ضمنها: السماح بتشكيل النقابات، والضمان الاجتماعي.

فاضل الحليبي

يقول عباس عواجي، الذي كان ضمن الوفد العمالي إن الوزير ردّ عليهم بالقول: "الضمان الاجتماعي يُطبَّق في الدول الاشتراكية"، وبالمناسبة فإن هذا المطلب كان مطروحاً في البرنامج السياسي الذي نشرته جبهة التحرير الوطني البحرانية في عام 1962، ضمن البنود الخمسة عشر التي تضمّنها البرنامج، والذي نصّ في بنده السابع على: «الدفاع عن مصالح العمال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والثقافية وفي سبيل تنظيم نقابي، ومن أجل ضمان اجتماعي يقيهم عوز المرض والبطالة والشيخوخة، وتناضل الجبهة ضد تعسف الشركات وأصحاب الأعمال وضد تعسف السلطات بهم».

نستذكر تلك التظاهرة والاجتماع بين النقابيين والوزير، لكي نشير إلى مطلب الضمان الاجتماعي الذي يعرف اليوم ب (التأمين الاجتماعي) بأن المطلب الذي طرحته جبهة التحرير الوطني منذ عام 1962، أعاد النقابيون طرحه في عام 1973.

يواصل المناضل النقابي عباس عواجي حديثه قائلاً: "لقد تحقق ذلك المطلب ونحن قابعون في السجن (من شهر يونيو 1974 حتى شهر ديسمبر 1979)، حيث أقرّ عام 1976، بصدور (قانون التأمين الاجتماعي الصادر بمرسوم بقانون رقم (24) لسنة 1976"، ومن المفارقات المؤلمة أن الرفيق عباس عواجي ورفاقٌ نقابيين آخرين ليسوا مسجلين في الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي وهم الذين قدموا زهرة شبابهم في السجون والمعتقلات من أجل تحقيق هذا المطلب وغيره من المطالب النقابية والسياسية العادلة، ولولا تضحيات هؤلاء المناضلين والنقابيين الذين دفعوا الثمن غالياً، و(أبو بدر) واحدٌ منهم، ومن أبناء «جتوب» الأوفياء لما تحقق لنا ما تحقق من مكتسبات.

أصبح البحرينيون من الجنسَين اليوم مسجلين تحت مظلة الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، وهذا حق من حقوقهم، هم الذين خدموا الوطن في مواقع عمل مختلفة، في القطاعَين العام والخاص، وفاقت مدة عمل بعضهم الأربعين سنة، خلالها كان يتمّ استقطاع نسبة مئوية من رواتبهم الشهرية، حسب راتب كل واحد منهم، موظفاً كان أو عاملاً، وهناك من استفاد من أموال المتقاعدين، تحت يافطة «الاستثمار» لكي تعود بالإفادة المالية للمتقاعدين، ولكن تلك المؤسسات والبنوك التي أخذت من أموال المتقاعدين (قروضاً) وفق لتصريحات العديد من أعضاء مجلس النواب بهذا الشأن، لم تعد تلك الأموال التي تقدّر بملايين الدنانير، مما سبَّب أزمة إكتوارية للهيئة العامة للتأمين الاجتماعي تعاني منها منذ أكثر من خمس وعشرين سنة، وفي الفصل التشريعي الأول لمجلس النواب، شكّل المجلس في عام 2002 لجنة تحقيق في أوضاع التأمين كشف تقريرها عن أوجه فساد كبيرة، كما تشكّلت لاحقاً لجان أخرى في المجلس لكن دون جدوى، فلم ترجع الأموال التي هي أموال مواطنين وليست أموال الحكومة أو الشركات والبنوك، كان من المتعين إعادتها بالقانون.

النقابي عباس عواجي

والطامة الكبرى كانت بإلغاء الزيادة السنوية 3٪ في عام 2022، ليحرم المتقاعدون أحد حقوقهم، وتحولت الزيادة السنوية منذ أربعة أعوام إلى علاوة، يمكن أن تتوقف في أي لحظة عند حدوث أزمة مالية عميقة، فتعجز الحكومة عن توفير الأموال، ما يحملنا على التساؤل: ماذا سيحدث للمتقاعدين، وهم الذين لديهم التزامات مالية تجاه الأبناء، ناهيك عن تسديد فواتير الكهرباء والماء والطاقة وغيرها من الاحتياجات المعيشية.

العمالة في القطاع غير المنظم:
حماية اجتماعية مفقودة في زمن الأزمات

يشكل العاملون في القطاعات غير المنظمة (غير الرسمية) شريحة واسعة من المواطنين، يعتمدون في كسب عيشهم على أعمال يومية أو موسمية أو حرف صغيرة، دون أن توفر لهم طبيعة عملهم أي أمان أو استقرار، فغياب أي وسيلة بديلة لكسب العيش يجعلهم الفئة الأكثر هشاشة وتضررًا عند حصول أي طارئ أو أزمة.

فلاح هاشم

ومن هنا تأتي أهمية التوصيات الدولية، لا سيما توصية منظمة العمل الدولية رقم (204) لسنة 2015، التي شددت على ضرورة تعزيز إقامة منشآت وفرص عمل لائقة في إطار الاقتصاد المنظم، والعمل على استدامتها. كما أكدت على أهمية تماسك سياسات الاقتصاد الكلي مع سياسات التشغيل والحماية الاجتماعية، وضرورة أن تشمل نظم الحماية الاجتماعية جميع العاملين، بما فيهم أولئك المنخرطون في القطاعات غير المنظمة.

استلهامًا من هذه التوصيات الدولية، ومن تجارب دول عربية مثل جمهورية مصر العربية، ودول متقدمة أخرى، تقدمت كتلة تقدم النيابية في الفصل التشريعي السابق بمقترح بقانون يهدف إلى إدراج العاملين في هذا القطاع تحت مظلة نظم التأمينات الاجتماعية. صيغ المقترح بآلية واقعية تراعي خصوصية هذا القطاع، وتضمن شمولية الحماية لجميع المواطنين العاملين. إلا أن هذا المقترح، ورغم أهميته، تم تجميده في أدراج لجنة الخدمات في مجلس النواب حتى نهاية الفصل التشريعي، دون مناقشته أو إقراره، رغم كل الجهود المبذولة لتحقيق ذلك.

لقد كشفت الأحداث الجارية وما رافقها من تحديات وصعوبات عن حجم المعاناة الحقيقية التي يواجهها العاملون في هذا القطاع. فقد أدت الظروف الطارئة إلى انقطاع شبه كامل لسبل الدخل لدى شريحة غير قليلة من المواطنين العاملين في مختلف المهن العاملين في هذا القطاع. هذا الواقع الموجع يفرض علينا إعادة النظر بشكل جدي في صياغة تشريعات قادرة على معالجة التبعات الدائمة التي يعاني منها هؤلاء العمال، بدلًا من الاكتفاء بحلول وقتية أو ترقيعية لا تلامس جوهر المشكلة.

كما أن السياسات المتبعة حاليًا، ومن المفارقة أنها تسير عكس ما توصي به منظمة العمل الدولية، تساهم في خلق منشآت هشة وضعيفة، لا تلبث أن تنهار عند أول عقبة أو أزمة، مما يزيد الطين بلة ويوسع دائرة الفقر والهشاشة. إن المطلوب اليوم هو تحول نوعي في الرؤية والسياسات، يضع الحماية الاجتماعية للجميع كأولوية وطنية، لا كرفاهية مؤجلة.

علينا التفكير بشكلٍ جدي في وضع تشريعات قادرة على معالجة التبعات الدائمة التي يعاني منها العمال خلال الأزمات

في زمن الحروب يجب أن تكون الحكمة سيّدة الموقف

كل التقارير والمؤشرات والمتابعات لما يدور في منطقتنا الخليجية، تشير بوضوح إلى أن الحرب الدائرة حالياً بين الولايات المتحدة الأميركية ودولة الكيان الصهيوني من جهة وإيران من جهة أخرى منذ أسابيع سوف تخلف حتماً أوضاعاً اقتصادية ومعيشية وتبعات سياسية واجتماعية ضخمة، لا يمكن أبداً التقليل من انعكاساتها التي ظهرت للعلن ولم تعد مقتصرة على ما يدور من أحداث يومية حيث الصواريخ والمسيّرات وأصوات الإنفجارات التي تحوم فوق رؤوسنا!

عبدالنبي سلمان

المعلن بوضوح، هو أن دول المنطقة قد رفضت فرض هذه الحرب عليها، وهي التي تعلم تبعات مثل هذا القرار الاميركي – الصهيوني المنفرد بمصير المنطقة، خاصة إذا ما علمنا أن المخططات الإمبريالية الموضوعة أصلاً لمصير ومستقبل المنطقة والتغيرات الجيوسياسية المرسومة منذ سنوات، بما فيها المشروع الصهيوني الذي توالت على متابعته وتنفيذه الإدارات الأميركية والحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، لا فرق هنا بين إدارات يقودها الحزب الجمهوري أو الديمقراطي، أو ما يسمى بحزب العمل أو الليكود.

رئيس وزراء الكيان الصهيوني أعلنها مراراً وأبان حرب غزة التي لم تنته فصولها بعد، ان تغيير وجه المنطقة ضرورة لتحقيق الاستقرار والسلام والتعاون والازدهار! كما يأمله هو، وقد اعلن ذلك من فوق اعلى منبر اممي في الأمم المتحدة. لذلك يصبح من نافلة القول ان منطقتنا الخليجية والعربية باتت معنية بالأساس من قبل حكوماتها وبرلماناتها وأحزابها السياسية وشعوبها ومنظماتها المدنية بضرورة التصدي لمهمات كبرى يفترض أن ترتسم من خلالها ملامح المستقبل المنشود لهذه المنطقة، بالاستناد إلى مصالح الشعوب والأنظمة على حدٍّ سواء، لا فرق هنا بين أنظمة ملكية أو جمهورية أو غيرها.

فالكل أصبح معنياً بالقيام بدوره في صنع مستقبل أفضل للمنطقة التي ابتليت بحروب ومشاريع استعمارية وفتن وانقسامات لا تريد ان تنتهي، باعتبارها منطقة مصالح حيوية للعالم، فالمخاطر المنتظرة ليست مجرد حبر على ورق، بل هي مشاريع تنفذ قولاً وعملاً على أرض تزلزلها كل يوم أفعال تلك المخططات والمؤامرات التي يستفيد منها تجار الحروب وشركات السلاح والقوى الاستعمارية، في ظلّ عالم تشي كل مؤشراته أنه لايزال أمامه الكثير من الحروب الصغرى والكبرى القادمة، طالما استمرّ هذا السعار الذي تغذيه القوى الاستعمارية الطامعة لتحقيق نزواتها ونزوات قادتها التي تفصح كل يوم عن وجوه متعددة من صراع الهيمنة على العالم بأسره.

أمام كل ما يجري من حولنا من تشابك وتداخلات مهلكة لعالم باتت تتربص به كافة أشكال المؤامرات وشركات تكنولوجيا السلاحً وضخامة ترساناتها، والجيوش الجرارة والقواعد العسكرية المسخرة أصلاً لحماية مصالح دول كبرى، وشركات سلاح تدير حروباً وتوظف لوبيات عسكرية وسياسية كبرى، لم تعد تتورع في الإعلان صراحة عن نواياها وخططها لعالم تهيمن فيه تلك القوى الكبرى، محتفظة بمصالحها التي لن تساوم عليها أبداً لصالح دول وشعوب ضعيفة أو ممزقة أثبتت التجارب أنها غير قادرة على حماية سيادتها ومصالحها أو مقدرات شعوبها، أمام كل ذلك تصبح دولنا الخليجية والعربية تحديداً، معنية أكثر بالتفكير في كيفية حماية مستقبل المنطقة وحماية مصالحها الاستراتيجية والوطنية، وإعادة التفكير جدياً في جدوى الانخراط في معاهدات أو حتى أحلاف يبدو ظاهرها وردياً أو مبشراً، لكن مضمونها وعنوانها الرئيس هو بسط الهيمنة على قرار المنطقة وخيرات شعوبها، دون أدنى اعتبار لمصالحها واستقرار أنظمتها وشعوبها.

من هنا يبدو أن مشاريع تمزيق وإضعاف دول المنطقة بالصراعات والمؤامرات هي إحدى حلقات وملامح مشاريع الهيمنة تلك، طالما بقيت دولنا وشعوبنا تعيش تحت رحمة هاجس الخوف من المستقبل والانقسام والتفتت من الداخل والعدوان الكامن على الدوام من الخارج، ليصبح لزاماً علينا جميعاً مسؤولية التفكير في العودة لمشتركاتنا، أنظمة وشعوباً، لصياغة مشروع يفهم جيداً تحولات العالم من حولنا ويكون قابلاً للحياة والاستمرار، ويحظى بدعم الشعوب أساساً، حتى يضمن شروط استمراريته وتطوره، ويتحسب جيداً لمصالح الأنظمة والشعوب بالدرجة الأساس، ويقرأ جيداً حساسية أوضاعنا الاجتماعية والسياسية وتداخلاتها، وتجاوز كل ما يمكن أن يعيق تشكّل المد الوطني الذي يستطيع أن يرسم معالم النهوض وآفاقه المستقبلية حتى نضمن الزخم الجماهيري المرتجى منه.

ومن هنا يمكننا القول إن نقطة البدء يجب أن تنطلق من تعزيز تلاحم كافة القوى والمكونات والشرائح والفئات وضرورة الإسراع في مغادرة ما حملناه من أعباء اجتماعية وانقسامات مجتمعية، أضعفتنا كثيراً ولعقود طويلة، إما بفعل بعض الانحيازات المذهبية أو الطائفية أو القبليّة أو العشائرية التي تغذيها آلة إعلامية ضخمة أضحت تستند بغباء وبوعي أحايين كثيرة على ما يشهده العالم من تطور تكنولوجي غير مسبوق وبقايا إعلام مشوّه، حيث أدخلنا إلى كل ذلك عنوة، وكم يحتاج هذا لعمري لوعي جديد وفكر منفتح على الآخر يفهم طبيعة الصراعات الدائرة ويقرأ جيداً نسيجنا الاجتماعي بشكل مسؤول وحسّ وطني جامع، وطبيعي أن ذلك يحتاج لصبر ونفس يتجاوز حدود الأفراد والجماعات ليدخل ضمن مسؤوليات الأنظمة والتيارات الاجتماعية بالدرجة الأساس.

نقول هذا ونحن نعيش فصولاً من حرب فرضت على منطقتنا لا ناقة لنا فيها ولا جمل، واعتداءات بالجملة على بلداننا ، نحاول أن نتعايش مع انعكاساتها التي توعدنا كل حين بأيام نرجوا ألا تكون مدمّرة لكل ما هو جميل في واقعنا الموعود دوماً بحروب الآخرين على آراضينا وعلى شعوبنا ضمن حلقات صراع عالمي ممتد على المصالح والثروات والموارد، يحتم علينا أن نعرف جيداً موقعنا منه أولاً، وأين تكمن مصالحنا الحيوية فيه، وكيفية الخروج منه بأقل الخسائر، عوضا عن الانجرار إليه.. فتلك طريق الحكمة!

زهر الإخاء .. حين يورق السلام من قلب الرماد

د.جميلة الوطني

حين تندلع الحرب لا تكتفي بهدم الجدران أو تمزيق الخرائط بل هي معوّل يهوي على الروح قبل الجسد وزلزال يضرب أعمق نقطة في الوجدان الإنساني.. إنها دمار شامل لا يستثني أحدًا، فماديًا تحيل الكدح السنين إلى ركام في ثوانٍ، ونفسيًا تترك في القلوب ندوبًا لا تبرأ حيث يغدو الخوف هو الرغيف اليومي والقلق هو الغطاء.

وفي هذا المشهد العبثي يبرز الانكسار الأكبر في عيون كبارنا، أولئك الذين قضوا أعمارهم يبنون فإذا بالحرب تجعلهم يتامى الأخبار معزولين في صمتهم بعيدين عن نبض الحياة التي عرفوها يراقبون تجاعيد الزمن وهي تتقاطع مع تجاعيد الوجع خائفين ليس على أنفسهم بل على وطن أرادوا تسليمه للأحفاد آمنًا.. أما الطفل في زمن الحرب فهو الضحية الأرقى إيلامًا، إذ تُسرق منه براءة التساؤل لتُستبدل بمرارة الفقد ويصبح أقصى طموحه سقفًا لا يسقط وحسنًا لا يغيب.. إن الحرب إذا دمرت ستدمرنا جميعًا ولن ينجو من رمادها أحد إذا لم ندرك أن زهر الإخاء هو النبتة الوحيدة القادرة على اختراق هذا الركام.

إننا وفي حضرة الوجع حيث تصمت المدافع ليتحدث أنين الثكالى وحيث يغدو الغبار هو المشهد الوحيد الذي يغطي ملامح الوجوه نجد ان الحقيقة الكبرى تبرز لا تحجبها غربال السياسة ولا نيران الفتن... الوطن هو الهوية التي تسبق الاسم وهو الأرض التي لا تفرق بين أقدام السائرين عليها وهو الحضن الذي يتسع لدموع المخطئ وقلق البريء على حد سواء.

إننا نعيش في زمن تختبر فيه الأزمات معادن الشعوب فالحرب ليست مجرّد صراع عسكري؛ بل هي محاولة لخلخلة الجذور التي تربط الجار بجاره والأخ بأخيه... وفي هذه اللحظات الفارقة نلتفت إلى كبارنا لنعلم أن الأوطان تبنى بالاحتواء لا بالإقصاء ونحتاج إلى وقفة مع الذات بعيدًا عن ضجيج التخوين لنعيد تعريف حب الوطن كفعل تكاتف يتجاوز المذاهب متمسكين بأيدي حكمائنا الذي يوقنَ أن البيت الذي ينقسم على نفسه لا يصمد أمام الريح.

الوطن ليس مساحة جغرافية فحسب بل هو رائحة الخبز وصوت الأذان الممتزج بقرع الأجراس هو الحكايات التي روتها لنا الجدات.. عندما تشتعل نيران الحرب فإنها تحاول حرق هذه الذاكرة الجمعية، لكن حب الوطن يعني إدراك أننا في مركب واحد، إذا خرق جانب منه غرق الجميع ولن يشفع لأحد مذهبه إذا ما ابتلع الموج الكيان كله... الوطن هو تلك الخيمة الكبيرة فإذا ما تآكلت أعمدتها من الداخل بفعل الكراهية سقطت على رؤوس الجميع لتترك الصغير يتيم الأمان والكبير غريب الدار.

ومن أخطر الأمراض التي تفتك بنا وقت الأزمات هو وباء التعميم، الذي يحول القلوب إلى خنادق ويجعل من الهوية المذهبية أو المناطقية جدارًا عازلًا، فحين يرتكب فرد خطأ أو يذنب في حق الوطن، تسارع بعض الأصوات الغاضبة لوسم طائفة بأكملها بوشم التخوين، وهذا المنطق هو السم الزعاف الذي يفتت نسيجنا.. إن خطأ القلة لا يمثل الملايين الذين هم شركاء في الدم والألم والمصير.. عندما ننبذ فئة بسبب فعل آحادها فنحن نهدي عدو الوطن أكبر انتصار يحلم به.. تمزيق الوحدة الداخلية التي هي السد المنيع.

في الأزمات يصبح التكاتف خلف راية الوطن ضرورة وجودية لا ترفًا فكريا... إن المذاهب هي روافد متنوعة تصب في نهر واحد هو الوطن وتنوع هذه الروافد هو مصدر ثراء وقوة لا سبب ضعف وشتات... اسألوا كبار السن عن الأيام الخوالي سيحدثونكم كيف كان الجار يقاسم جاره لقمة العيش دون سؤال عن معتقده وكيف كانت الأفراح والمآتم ديوانًا واحدًا يجمع الكل.

كف الألسن عن التجريح لأن الكلمة في وقت الحرب قد تكون أمضى من الرصاصة فهي تقتل الانتماء قبل أن تقتل الجسد.

البحث عن المشتركات فما يجمعنا كبشر وكأبناء لهذه الأرض أكثر بكثير مما يفرقنا فالجوع لا يعرف مذهبًا والخوف لا يستأذن أحدًا والدم الذي يسيل في الطرقات له لون واحد يشبه لون الأرض التي ارتوى منها.

حماية الضعيف والمنكسر أن يشعر كل مواطن مهما كانت خلفيته بأنه محمي بإخوانه في الوطن وأن انتماءه ليس محل تشكيك بمجرد وقوع أزمة عابرة أو زلة من عابر.

لقد مرّت على التاريخ أمم دمرتها الحروب الخارجية لكنها نهضت بصلابة جبهتها الداخلية وفي المقابل سقطت إمبراطوريات عظمى عجز الأعداء عن اقتحامها من الخارج لكنها تآكلت وانهارت عندما اشتعلت فيها الفتن المذهبية من الداخل.

إن تقديم الوطن فوق كل اعتبار يعني تنحية الخلافات أمام هيبة البقاء يعني أن نصمت إجلالًا للدماء وأن نتحدث حين يكون الحديث بلسمًا للجراح وتآلفًا للقلوب.

نحتاج اليوم إلى لغة عقلانية وإنسانية في تعاملنا، لغة تعيد للإنسان إنسانيته التي حاولت الحرب تشويهها.. نحتاج أن ننظر في عيون بعضنا لنرى أحلام أطفالنا الذين لا ذنب لهم في نيران أوقدها الكبار.. إن الطفل الذي يولد في خضم الحرب لا يعرف معنى مذهب هو فقط يعرف الأمان الذي يوفره له سقف منزله.. دعونا لا نورث الأجيال القادمة أحقادنا بل نورثهم قصص التضحية ونعلمهم أن احترام الاختلاف هو أعلى درجات التحضر.

ولكي نبصر الضوء في نهاية نفق التخوين المظلم ونحمي هؤلاء الضعفاء، بات لزامًا علينا أن نعتنق ميثاقًا أخلاقيًا يرتكز في ركنه الأول على تفريد المسؤولية وصيانة الجماعة، فالجرم سياسيًا كان أم مسلكيًا هو شأن صاحبه وحده يطوق عنقه دون غيره، والعدل يقتضي ألا تزر وازرة وزر أخرى حمايةً للحاضنة الاجتماعية من طيش الأفراد ونزقهم ليبقى القانون هو الحكم والوعي هو الحارس. كما يرتكز في ركنه الثاني على قدسية النسيج الاجتماعي بجعل السلم الأهلي مزارًا مقدسًا وخطًا أحمر لا تبلغه يد العبث مهما اشتدت رياح السياسة، فالمواقف السياسية مكاسب وخسارات متغيرة يمكن استردادها أما تمزق النسيج الاجتماعي فندبة غائرة وجرح سيادي قد لا يندمل لقرون. ويمتد هذا الميثاق في ركنه الثالث ليبني جسر الثقة وإحسان الظن، ففي غمرة الأزمات ينبت الدخلاء ليزرعوا الشك ويفخخوا الدروب بالريبة، لذا يبقى إحسان الظن بابن الوطن هو الأصل الذي لا ينحرف عنه إلا هالك كونه الجسر المتين الذي يحمينا من الغرق في لجة الأوهام.

وصولًا إلى الركن الرابع المتمثل في لغة البناء والاحتواء، فعلينا تنقية قواميسنا من مفردات الإقصاء والتخوين واستبدالها بأدبيات الاحتواء والمواطنة المتساوية، فهي الضمانة التي تكفل للشيوخ وقارهم وللأطفال أمانهم، فإذا استقامت الكلمة استقامت معها النوايا والمصائر.

ستنتهي الحرب يومًا وسينقشع الغبار وستبقى الأرض شاهدة على من زرع فيها شتلة حب ومن غرس خنجر كراهية.. الوطن لا ينسى من احتضن أبناءه في عسرتهم.. إننا مدعوون لنكون بناة جسور لا هادمي جدران فليكن يقيننا بأننا واحد في التعدد وقوي في الوحدة هو الوقود الذي ينير درب الخلاص.. تأملوا وجوه كباركم استمدوا من هدوئهم الصبر فهم المراسي التي تثبت السفينة في وجه العاصفة.

يا أهل الطين والمبتدأ.. نحن هذا التراب، تعجننا الآمال وتصقلنا الآلام ونملك سر النهوض من تحت الرماد. فلا تتركوا عاصفة غضب عابرة تسرق إرثًا من تعانق الأرواح، فالأوطان هي الثوابت، والمذاهب هي رؤى واجتهاد.. اجعلوا عشق الوطن أسمى عباداتكم وأجمل حكاية نخبئها في ذاكرة الأبناء.

تحــوّلات فـــي الكـــوكـــب

لإدراك مسببات الكثير من التوترات في مناطق مختلفة من كوكبنا، علينا معرفة أنه في مطالع ستينات القرن العشرين كان دخل ما نسبته 20٪ من سكان العالم الذين يعيشون في البلدان الأكثر غنى يفوق بثلاثين مرة دخل ال20٪ الأكثر فقراً، أما في نهايات القرن نفسه فقد اتسعت الهوة لتصبح اثنتين وثمانين مرة، والمرجح أن الأمر، اليوم، قد ازداد سوءاً والأرقام تترى، فدخل الفرد في أكثر من سبعين دولة من دول العالم هو دون ما كان عليه قبل عشرين سنة، وفي العالم قرابة ثلاثة مليارات من البشر أي نصف البشرية بالتمام والكمال، أو بالتقريب إن شئنا، يعيشون بدخل يقل عن دولار واحد في اليوم.

يحدث كل هذا في الوقت الذي وصلت فيه وفرة السلع إلى مستويات لا سابق لها، والحبوب الغذائية لم تتوافر أبداً كما الحال الآن . المشكلة تكمن في التوزيع غير العادل للثروات الذي من جرائه يموت كل سنة ثلاثون مليون شخص بسبب الجوع، ويعاني ثمانمئة مليون آخرون سوء تغذية دائماً، ومن مجموع أربعة مليارات ونصف مليار نسمة هم سكان الدول النامية، فإن قرابة الثلث لا يشربون مياهاً صالحة للشرب، وأن أكثر من مليار شخص، يعانون سوء التغذية.

بعض الدراسات تقول إنه يكفي اقتطاع أقل من 4٪ من الثروة المتراكمة لما لا يزيد على 225 رجلاً فقط هم أثرى أثرياء العالم، للوصول إلى تلبية حاجات كل العالم في الصحة والتعليم والغذاء، والتي لا تزيد كلفتها على ثلاثة عشر مليار دولار، أي بالكاد ما يصرفه سكان الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي سنوياً على شراء العطور.

إن بدا أن ذلك يعني في الظاهر إخضاع العالم، فإنه في الجوهر يستنهض قوى عديدة على مدار الكوكب لن ترضى بأن يقاد العالم نحو هذا الخيار المدمر للبشرية وللبيئة، نتيجة استشراء نفوذ ما بات يدعى «الليبرالية الجديدة“ التي تستعير الأدوات والأساليب القديمة القائمة على تسييد مبدأ الربحية كحاكم أوحد، وتعيد النظر في الضمانات الاجتماعية والمكتسبات التي نالتها الفئات الكادحة والوسطى بعد معارك اجتماعية وسياسية مديدة . وتطول إعادة النظر هذه حقولاً مهمة كالتعليم والصحة والإعانات المعيشية والاجتماعية والخدمات الثقافية والترفيهية وإلغاء الدعم على الأسعار وتجميد الأجور وتحرير التجارة الخارجية وبيع القطاع العام .

الحرب لعبة «روليت»

اهتمّ تولستوي في روايته «الحرب والسلام» بهدم السردية البطولية التقليدية للحرب، وكشف هشاشة طموح صنّاع الحروب المحكومين في كثير من الأحوال بالأوهام، أمام عبثية الموت والدمار. وفي المقابل، أظهر السلام، كما هو فعلاً، بوصفه الحياة العادية للبشر يعيشونها في أجواء من الأمن والطمأنينة والتصالح مع الذات، لتأتي الحروب والفتن والبحث عن بطولات زائفة لمن يشعلونها لتفسدها.

ليس الجنود أو المقاتلون وحدهم من يكونون ضحايا الحروب، وإنما يموت أضعافهم في حالات كثيرة. لقد شاهدنا ذلك في قطاع غزّة المنكوب، حيث قتلت إسرائيل نحو 75 ألف فلسطيني، معظمهم من النساء والأطفال، ودمّرت البيوت والمستشفيات والمدارس، وهذا ما شاهدناه أخيراً حين قتلت نحو 170 تلميذة من مدرسة ميناب في إيران في اليوم الأول لبداية الحرب، أعمارهن بين سبع و12 سنة، وإصابة عشرات سواهن، وهو ما وصفه المرصد الأورو متوسطي بأنّه «جريمة مروّعة“، حين دمرت الصواريخ مبنى المدرسة بشكل شبه كامل، وسقطت أجزاء من سقفه الخرساني فوق رؤوس التلميذات.

الحروب في الغالب نتاج مغامرات ساسة أو جنرالات، ترضي نرجسيّتهم المرضية، وتغذّي أوهامهم الزائفة بالمجد، فلا يتردّدون في تكرار لعبة الروليت الروسية الشهيرة، التي ترتبط بالمخاطرة القصوى والعبث بالحياة، وتتلخّص فكرتها في استخدام مسدس دوّار (غالباً ذو ست حجرات)، توضع رصاصة واحدة فقط في إحداها، ثم تدار الأسطوانة عشوائياً، وحين تقف يضع اللاعب المسدس على رأسه ويضغط الزناد، فإن لم تنطلق الرصاصة ينجو مؤقتاً، أما إذا كانت الحجرة التي توقفت عندها الأسطوانة هي التي فيها الرصاصة فيموت فوراً.

تناول الأدب، كما السينما، هذه اللعبة، كثيراً، ومن أفلام مستلهمة منها ”صائد الغزلان» (The Deer Hunter) من إخراج مايكل كيمنيو وكتابته، ومع أن الفيلم مستوحى من رواية ألمانية عنوانها «ثلاثة رفاق“ تعود إلى 1936، يتناول حكاية ثلاثي يعمل أفراده في صناعة الصلب، خدموا في حرب فيتنام.

حاء. ميم

الثقـــافـــة المتـــوحشـــة

في ظل اشتداد حرب الإبادة على الفلسطينيين من قبل الإسرائيليين ومباركة الأمريكيين والأوروبيين، وتوسع حروبهم في الشرق الأوسط، وآخرها حربهم مع إيران وتأثيراتها الخطيرة على أمن واقتصاد دول الخليج العربي، مقابل استمرار النظام الدولي في ضعفه وتخبطه وظلمه تجاه القضايا الكبرى على مستوى العالم، يُطرح السؤال من جديد: هل الثقافة الغربية مُؤنسنة أم أنها متوحشة؟ وهل الثقافة الغربية تتقاطع مع الثقافة الحديثة أم تتناقض معها؟
قبل ثلاثة عقود، اتُهم المفكر العراقي هادي العلوي من قبل العديد من الليبراليين والمثقفين العرب بالتعصب والتشدد في موقفه من الغرب الأوروبي عندما وصف ثقافة هذا الغرب بالهمجية والمتوحشة، وبالعدو التاريخي للعرب.

جلال إبراهيم

يرى العلوي ضرورة التفريق بين الثقافة الغربية والثقافة الحديثة. فالأولى خط ثقافة متصل من اليونان فالرومان فالعصور الوسطى فعصر النهضة حتى العصر الحديث، وينتظمها محور تدور عليه وهو التملك الخاص وغريزة الربح. ويكمن في جذورها همجية الإغريق الإبادية/سلوكيات صولون في حروبه، ثم همجية الرومان/الغالياتورية وصراع الأسرى العزل مع الضواري في حلبات مقفلة داخل المسارح.
أما الثقافة الحديثة – وإن كان منشؤها في الغرب – فإن بنيتها العامة تختلف عن الثقافة الغربية بمفهومها الحاضر. فالثقافة الحديثة لها خط آخر ليس غربياً خالصاً، بل تستمثل فيه مصادر متعددة. ويمكن البدء بها من الرشدية اللاتينية، فلسفة الأحرار الأوروبيين في أواخر العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة. وتكمن الرشدية في جذر ثقافة التنوير البرجوازية التي تطورت في غضون عصر النهضة واستحكمت في القرون اللاحقة حتى بلغت أوجها في القرن الثامن عشر. ويتكامل مع هذا الخط الرشدي أو الإسلامي بوجه عام خط مسيحي متصل مباشرة بثقافة الأناجيل المشاعية المؤنسنة. ثم تأتي الماركسية بثورتها الفكرية الشاملة والمنفتحة على ثقافات الأمم في حركة انشقاق كبرى على خط الثقافة الغربية بمنهجيها الغالياتوري والتجاري. ويكتمل بذلك منحى الثقافة الحديثة المتكون في الغرب، ولكن باستمثالات عديدة المصادر.
تقودنا أطروحة العلوي إلى تسليط الضوء على ازدواجية صارخة بين الخطاب والممارسة في الثقافة الغربية، بين ما يقدمه الغرب لنفسه وما يمارسه على الآخر. إنها الثنائية التي يلتقطها عنوان "الثقافة المتوحشة" بدقة متناهية. هذه الازدواجية ليست مجرد سلوك عابر، بل هي منهجية مؤسسة يعترف بها صناع القرار الغربيون أنفسهم في التاريخ الحديث والمعاصر.
هذه الازدواجية تجسدت بوضوح في مقولة رئيس الوزراء البريطاني الأسبق ديفيد لويد جورج، الذي وصف معاهدة فرساي بعد الحرب العالمية الأولى بأنها "تحتوي على كل عناصر الحرب المستقبلية"، لكنه وقعها مع ذلك. إنها العقلية التي ترى في الآخر مجرد أداة أو عائق في أفضل الأحوال، وهدفاً للإبادة في أسوئها. يكشف لنا التاريخ الاستعماري للغرب أن "الوحشية" ليست مجرد نزوة عابرة، بل هي بنية فكرية متأصلة. فعندما غزا الأوروبيون الأمريكتين، برروا إبادة السكان الأصليين بأنهم "همج" يحتاجون إلى التمدن، مستخدمين مفاهيم راقية مثل "الحضارة" و"التنوير" كغطاء لأبشع عمليات الإبادة الجماعية. هذا النمط تكرر في إفريقيا وآسيا، واليوم يتكرر في فلسطين ولبنان، حيث تُستخدم ذات المفردات: "الديمقراطية" و"حق الدفاع عن النفس" لتبرير قتل الأطفال وتهجير المدنيين وتدمير البنى التحتية.
إن ما يميز أطروحة العلوي هو قدرتها على تعرية الثقافة الغربية ككل، وتفكيكها إلى مكوناتها الأساسية. فالتمييز الذي يقيمه بين "الثقافة الغربية" المتوحشة و"الثقافة الحديثة" المؤنسنة هو تمييز ثوري في جوهره. إنه يخبرنا أن ما هو إنساني في التراث الغربي (كالأناجيل المشاعية أو الماركسية أو التنوير البرجوازي في أفضل حالاته) ليس من نتاج الغرب وحده، بل هو تراث إنساني عالمي، بينما "الوحشية" هي نتاج علاقة محددة بالملكية والربح والإبادة المتجذرة في التاريخ الأوروبي.
هكذا يريد أن يقول لنا العلوي: إن الثقافة الحديثة ليست حكراً على أحد، وإذا كانت قد نشأت في الغرب، فإن مستقبلها الإنساني مرهون بقدرتنا جميعاً –نحن في الشرق الأوسط وآسيا وإفريقيا والعالم– على هزيمة عدوها المتمثل في "الوحشية الغربية" التي تلتصق بها. إن الحرب اليوم على غزة وفنزويلا ولبنان وإيران ليست مجرد حرب غطرسة وأطماع وتسابق على الثروات فحسب، بل هي أيضاً حرب على معنى الإنسانية ذاتها.
هل نحن قادرون على استلهام خط "الثقافة الحديثة" المتعددة المصادر، لنؤسس لعالم جديد تتساوى فيه الدماء وتُصان فيه الكرامات؟
ربما تكمن المفارقة الأعمق في أن الغرب، وهو يمارس "وحشيته" بقيادة الأمريكيين والإسرائيليين اليوم في فلسطين وغيرها باسم الدفاع عن "الثقافة الغربية"، إنما يقتل في الحقيقة جذور "الثقافة الحديثة" التي أنتجت أفضل ما فيه. فحين يُسكت الصوت الأكاديمي في الجامعات الأمريكية والأوروبية، ويُقمع التضامن مع غزة في شوارع لندن وباريس، فإن المشروع الحقيقي للتنوير يُصاب في مقتل. لقد تحولت "الحداثة" إلى مجرد قناع تتغطى به الوحشية التاريخية للثقافة الغربية، وهذا هو الدرس الأقسى الذي تقدمه لنا راهنية الأحداث اليوم: لا يمكن الوثوق بثقافة تعلن إنسانيتها في المتاحف والإعلام وهي تقتل الأطفال والنساء والمدنيين في العديد من دول العالم.

حقوق العمال في زمن الأزمات:

التصعيد الإقليمي يختبر منظومة العمل في الخليج

أعاد التصعيد العسكري المتبادل في المنطقة طرح ملف حقوق العمال في أوقات الأزمات إلى واجهة الاهتمام، خصوصًا في منطقة الخليج التي تتعرض لاعتداءات إيرانية سافرة وكونها تعتمد بصورة كبيرة على العمالة الوافدة، وتضم قطاعات شديدة الحساسية مثل الطاقة، والموانئ، والطيران، والخدمات اللوجستية، والإنشاءات. ومع اتساع نطاق المخاطر الأمنية وتعطل بعض مسارات الملاحة والطيران، لم يعد السؤال مقتصرًا على أمن الدول والمنشآت، بل امتد إلى سلامة العمال، واستمرار الأجور، والحق في بيئة عمل آمنة، والحماية الاجتماعية، والوصول إلى الإجلاء أو الممرات الآمنة عند الضرورة.

وتؤكد منظمة العمل الدولية أن الحق في بيئة عمل آمنة وصحية أصبح من المبادئ والحقوق الأساسية في العمل، فيما تشدد توصيتها رقم 205 بشأن العمالة والعمل اللائق من أجل السلام والقدرة على الصمود على أن الاستجابة للأزمات لا ينبغي أن تقتصر على الأمن والإغاثة، بل يجب أن تشمل حماية سبل العيش، واستمرار العمل اللائق، وتدابير لحماية الفئات الأضعف، وفي مقدمتها العمال المهاجرون. كما يوضح مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان أن النزاعات المسلحة والأوضاع الطارئة تقوض الحق في العمل، وتؤثر في شروط العمل الآمنة، والصحة، والوصول إلى الخدمات الأساسية.

وتكتسب هذه المبادئ أهمية مضاعفة في الخليج، حيث تفيد منظمة العمل الدولية بأن العمال المهاجرين يشكلون ما بين 76٪ و95٪ من القوى العاملة في دول مجلس التعاون، كما أن بيانات التعاون بين مجلس التعاون ومنظمة العمل الدولية تشير إلى أن العمالة الوافدة تفوق العمالة الوطنية عدداً في القطاع الخاص عبر المنطقة. وهذا يعني أن أي اضطراب أمني أو لوجستي أو اقتصادي واسع النطاق ينعكس مباشرة على ملايين العمال، لا سيما في القطاعات منخفضة الأجر أو ذات المخاطر المرتفعة، وفي الوظائف المرتبطة بالسكن الجماعي أو العمل الميداني أو التنقل عبر الحدود.

وعلى الأرض، تعطلت فيه عمليات في قطاع الغاز وتزايدت المخاوف على البنية التحتية الحيوية. كما أغلقت مؤقتاً المجالات الجوي، وتعطلت أو إعيدت جدولة رحلات، بينما اتجهت بعض الشركات إلى السماح لموظفيها في الخليج بالعمل عن بُعد أو المغادرة المؤقتة. وبالنسبة للعمال، فإن هذه التطورات لا تعني فقط ارتفاع المخاطر الأمنية، بل تعني أيضًا احتمالات توقف العمل، أو خفض الساعات، أو تعثر الانتقال إلى مواقع العمل، أو صعوبة العودة إلى بلدانهم.

وفي المقابل، تشير تقارير رسمية وتصريحات صادرة عن جهات حكومية في دول مجلس التعاون إلى اتخاذ حزمة من الإجراءات الاحترازية لحماية العمال في ظل التطورات الأمنية الراهنة، شملت تفعيل خطط الطوارئ في مواقع العمل الحساسة، وتأمين مساكن بديلة للعمال في المناطق القريبة من نطاقات الخطر أو المتأثرة بشكل مباشر، إلى جانب تعزيز خدمات الرعاية الصحية وتوفير الدعم الاجتماعي للمتضررين. كما عملت بعض الجهات على تحديث إرشادات السلامة المهنية، وتكثيف التواصل مع العمال بلغاتهم الأصلية لضمان وصول التعليمات بوضوح، إضافة إلى التنسيق مع أصحاب العمل لتفادي انقطاع الأجور أو الإضرار بالعقود الوظيفية في الحالات التي تتطلب تعليق العمل أو تقليصه مؤقتًا. وتندرج هذه الإجراءات ضمن توجه أوسع لتعزيز جاهزية أنظمة العمل والحماية الاجتماعية في مواجهة الأزمات، خصوصًا في القطاعات التي تضم كثافة عالية من العمالة الوافدة.

وفي هذا السياق، تبرز مجموعة من الحقوق العمالية التي تصبح أكثر إلحاحًا في زمن الأزمات: الحق في السلامة والصحة المهنية، والحق في المعلومات الواضحة عن المخاطر، وعدم تشغيل العمال في ظروف تهدد حياتهم دون حماية مناسبة، واستمرار دفع الأجور أو تسوية مستحقاتهم عند توقف النشاط، وضمان الإخلاء أو العودة الآمنة، ومنع التمييز ضد العمال الأجانب، وتأمين الوصول إلى الرعاية الصحية والسكن اللائق والخدمات الأساسية. كما تشير أدبيات منظمة العمل الدولية الخاصة بحقوق العمال المهاجرين إلى أن هذه الفئة تتعرض غالبًا بصورة أكبر لمخاطر التمييز، والعمل القسري، وسوء ظروف العمل والسكن، وضعف الحماية الاجتماعية، خصوصًا في أوقات الطوارئ.

وبالنسبة لدول الخليج، فإن التحدي لا يقتصر على حماية الوظائف، بل يمتد إلى إدارة الأزمة بمنطق حقوقي ومؤسسي. فالمطلوب في مثل هذه الظروف، وفق المعايير الدولية، يشمل خطط طوارئ واضحة للمنشآت، وآليات تواصل متعددة اللغات للعمال، وخطوط مساعدة فعالة، وتفتيشًا على أماكن العمل عالية الخطورة، وضمانات بشأن الأجور والسكن والرعاية، إلى جانب تنسيق أقوى بين الحكومات وأصحاب العمل والسفارات والمنظمات الدولية، خاصة في القطاعات التي تضم كثافات عالية من العمالة المهاجرة.

خلاصة المشهد أن الحرب الجارية لا تهدد فقط خرائط النفوذ والطاقة والملاحة، بل تختبر أيضًا مدى قدرة الأنظمة القانونية وسوق العمل في المنطقة على حماية الإنسان العامل حين يصبح الأمن هشًا وسلاسل الإمداد مضطربة والحدود أقل يقيناً ما يتعين تأمين الحماية والحقوق للعامل، مواطنًا كان أم وافدًا.

حقــوق الإنســان بين شـريعة القوّة وسقـوط المعـاييـر

خليل يوسف

نتوقف أمام ملف حقوق الإنسان، ملف يستحق التوقف عنده مرات، ولأسباب معروفة باتت تصول وتجول فى واقعنا الراهن، من انتهاكات صارخة لا تنتهي، ولكن هذه المرة نتوقف تحديداً أمام التحذيرات التى أطلقها فى الآونة الأخيرة أعلى صوت أممي، أمين عام الأمم المتحدة انطونيو غوتيريش. قال الرجل قال بمنتهى الصراحة والوضوح: «إن حقوق الإنسان تتعرض لهجوم شامل في مختلف أنحاء العالم، وإن سلطة القوة باتت تطغى على سيادة القانون، وإن الاعتداء على هذه القيم لم يعد يتم في الخفاء، بل يحدث على مرأى ومسمع الجميع، بل أحيانًا بقيادة قوى كبرى تتباهى بذلك».

وهذا الذى قاله الرجل لا يُقرأ بوصفه خطابًا من خطابات المناسبات والعناوين الثابتة فى المؤتمرات، بل جرس إنذار قوي في عالم يتفكك فيه ميزان العدالة، وتُستبدل فيه القواعد ب «شريعة القوة»، وتتحول حقوق الإنسان إلى ورقة ضغط تستخدم لخدمة مصالح دول، تستدعى أو تهمل وفق اعتبارات معينة، أهمها اعتبارات موازين النفوذ والمصالح والمآرب الدفينة وغير الدفينة مما وضع العالم على بوابة زمن جديد، لم تعد فيه حقوق الإنسان كما كانت تُقدَّم بوصفها قيمة إنسانية جامعة تتجاوز المصالح والحدود فتحوّلت أداةً انتقائية تُرفع في وجه خصوم وتُغضّ عنها الأبصار حين تتعارض مع مصالح الأقوياء، وبين الشعارات البراقة والواقع المثقل بالحروب والنزاعات، تراجعت قدسية الإنسان أمام حسابات القوة والنفوذ، حتى بدا وكأن العالم لم يعد يناقش حقوق الإنسان بقدر ما يتفاوض على حدودها.

ومن الزاوية المذكورة لا يمكن المرور على ما قاله أمين عام الأمم المتحدة مرورًا عابرًا فهو تحذير ثقيل المعنى، يكاد يرقى إلى ما يشبه إعلان وفاة القانون الدولي بصورته التي عرفها العالم بعد الحرب العالمية الثانية، فما قاله بمثابة إنذار سياسي وأخلاقي مبكر يفيد أن العالم يقترب من نقطة خطرة يُعاد فيها التعامل مع الإنسان لا بوصفه صاحب حق، بل عبئاً يمكن التضحية به باسم الاستقرار، أو المصلحة العليا، وحتى غير العليا. لم يحذر غوتيريش من انتهاكات معزولة، بل من مسار عالمي يبدأ بتآكل الحريات، وتطبيع القمع، وتوسيع الاستثناءات القانونية، وتراجع قيمة الكرامة الإنسانية في السياسات العامة، فحين تُقيَّد حرية التعبير باسم النظام، وتُهمَّش العدالة باسم الواقعية، فإن حقوق الإنسان فى أبسط تفسير لا تُنتهك فقط، بل تُفرَّغ من معناها.

في كلمته أمام افتتاح الدورة الحادية والستين لمجلس مجلس حقوق الإنسان في جنيف، وهى آخر كلمة له فى افتتاح المجلس بوصفه أميناً عاماً للأمم المتحدة حيث تنتهى ولايته فى نهاية العام الحالي قال غوتيريش ما صار كثيرون يخشون قوله علنًا، قال: «إن الهجوم على حقوق الإنسان ليس خفيًا، ولا طارئًا، ولا استثناءً وأن ذلك يحدث اليوم في وضح النهار»، مضيفاً: «إن حقوق الإنسان تتعرض لصدّ ممنهج في جميع أنحاء العالم يتمّ تارة عن عمد، وتارة وفق استراتيجية مرسومة، بل ويصل الأمر أحيانا إلى التباهي بهذا التراجع»، وذكر «أن حقوق الإنسان تتعرض لهجوم شامل في جميع أنحاء العالم، وأن سلطة القوة بَاتت تطغى على سيادة القانون»، مؤكدا على أن «هذا الاعتداء لا يأتي من الخفاء، ولا هو بالحدث المباغت بل إنه يقع على مرأى ومسمع الجميع، وغالباً ما يقوده أصحاب القوة العظمى»، وحذّر من عواقب وخيمة لهذا التراجع، قائلاً: «عندما تنهار حقوق الإنسان، ينهار كل شيء آخر، بدءاً من السلام إلى التنمية إلى التماسك الاجتماعي إلى الثقة والتضامن.»

فى السياق المذكور يصبح ما حدث ويحدث فى غزة وفى عموم الأراضي الفلسطينية المحتلة – المثال الأبرز وغير المسبوق – نموذجًا فاضحًا لإنهيار المعايير، انتهاكات صارخة، مساس بالكرامة الإنسانية، عقاب جماعي، قتل وتدمير، واستخدام مفرط للقوة، وتتعرّى اللغة الأممية أكثر من أي مكان آخر، حين نسمع عن حماية المدنيين، وضرورة إدخال المساعدات لهم فيما هم يقتلون، وتقصف أو تعطل المساعدات الإنسانية الموجهة للمحاصرين، ووجدنا هيئات ومنظمات ودولاً تبدي القلق من كارثة إنسانية، لكن ما لن يُقال بوضوح كاف، لماذا يُترك المدنيون تحت النار دون حماية فعلية؟، ولماذا لا تُربط الانتهاكات الواضحة بإجراءات ملزمة؟

لم تكشف غزة فشل السياسة فقط، بل هشاشة الخطاب الأخلاقي العالمي، وان حقوق الإنسان هى اليوم لغة بلا أنياب لأنها لم تتحول إلى محاسبة حقيقية، أو عقوبات رادعة، وهنا تكمن المأساة، اللغة الأممية تزداد أناقة بينما الواقع يزداد وحشية، فهل ما قيل في تلك التصريحات يكفي، أم أننا أمام لغة تعرف حدودها جيدًا، وتتوقف قبل الخط الأحمر؟، وسؤال آخر يفرض نفسه ليس قانونيًا فقط، بل فلسفي وأخلاقي: هل ما زالت حقوق الإنسان حقوقًا، أم أنها امتيازات تُمنح وتُسحب وفق حسابات معينة، او ميزان القوة، او اعتبارات لاعلاقة لها بالحقوق او المبادئ والقيم الانسانية إن لم تمسّها بسوء فى الصميم؟

عندما تُدان انتهاكات حقوق الإنسان في مكان، وتُبرَّر أو يسكت عنها في مكان آخر، تفقد هذه الحقوق طابعها الكوني، وتتحوّل إلى أداة سياسية لا إلى مبدأ أخلاقي، ونصبح إزاء انتقائية فجة، وإلا لماذا تتحول بعض القضايا إلى أزمات مزمنة، لا إلى انتهاكات تستوجب المساءلة والعقاب، وهنا تكمن المفارقة القاتلة، المنظومة التي وُلدت بعد الحرب العالمية الثانية لمنع تكرار الفظائع، باتت عاجزة – أو غير راغبة – في منعها حين يكون الجاني قويًا وصاحب نفوذ.

متى يدرك جميع من يفترض أنهم معنيين أن التحدي الحقيقي اليوم لا يكمن في إصدار بيانات، أو توقيع اتفاقيات إضافية، بل في إعادة الاعتبار لفكرة العدالة الدولية نفسها، بحيث لا تكون الحقوق امتيازًا تمنحه القوة، بل قيمة إنسانية يحميها القانون؟، فحين تصبح الحروب مشهدًا يوميًا على شاشات العالم، والسيادة الوطنية للدول تنتهك، وآلاف الضحايا من المدنيين يسقطون دون مساءلة حقيقية، يصبح حديث هؤلاء عن حقوق الإنسان فارغاً من مضمونه.

تحذير أمين عام الأمم المتحدة ليس نهاية النقاش، بل يجب ان يكون البداية الحقيقية فإما أن يُستعاد القانون الدولي كمرجعية فوق القوة، أو نعترف – بصراحة مؤلمة – أن العالم اختار العودة إلى شريعة الغاب، ولكن ببدلة رسمية، وخطابات أنيقة، وتقنيات ذكية، حتى بتنا فى مرحلة أصبح فيها القوي هو القاضي والخصم والحكم.

المناضل حميد مجيد عصي على النسيان

لكل إنسان بصماته وآثاره التي يتركها حين يستذكره الناس عند رحيله أو حتى قبله، سواء كانت آثاراً مادية أو معنوية .. وقلة من الناس الذي يصبح عصياً على النسيان رغم مرور ما يقارب نصف قرن من الزمان.

خليل زينل

وأنا أقارب العشرين من عمري حطيت رحالي في صوفيا عاصمة بلغاريا الإشتركية بتاريخ 1979/9/9 طالباً أبحث عن العلم والمعرفة وفنون إدارة المجتمع في أكاديمية العلوم الاجتماعية التي تضمّ طلاباً وصفوة من السياسيين والنقابيين من مختلف بلدان العالم في دورة استمرت لمدة عام أكاديمي، انتهت بمنتصف يوليو 1980، ومن بين الوفود العربية، الوفود الفلسطينية بتعدد فصائلها، والوفدان اليمني بشماله وجنوبه الاشتراكي، والوفد العراقي وكاتب هذه السطور من البحرين، ومن الطبيعي أن اكون مع الوفد العراقي في السكن والدراسة وممارسة الرياضة كونه الأقرب إلينا من جميع النواحي عبر التاريخ والجغرافيا، وكوني شاباً يافعاً ورياضياً فقد شاركت الفرقة العراقية في معظم الألعاب الجماعية في كرة القدم والسلة والطائرة وتنس الطاولة واستطعنا ولأول مرة ان ننتزع المركز الأول من الفرقة الكوبية المنافسة لنا.

ورغم ضخامة الوفد العراقي المقارب لاربعين فرداً تقريباً بمستوياته المتعددة ودراساته المختلفة، البعض منهم طواهم النسيان سريعاً والقلة منهم بقوا عالقين في الذاكرة يصعب نسيانهم لعل ابرزهم حميد مجيد موسى المعروف بأبي داوود وزوجته وابنته أسيل وهي في عامها الأول.

كثيرون كتبوا عن أبي داوود وعن سيرته وعطاءه وتضحياته ومراحل حياته ونضاله وسجاياه، إلا إنني سوف أتناول فقط ذكريات العام الدراسي الذي تشاركنا فيه، وكان أبو داوود يمثل، يومها، الجيل الجديد في قيادة الحزب آنذلك، وظهر ذلك جلياً لاحقاً عندما تبوأ مركز الأمين العام في الحزب.. يتأنق في مظهره بالبدلة الإفرنجية، ذو شارب رفيع.. هادىء الطباع، قليل الكلام ونادر المشاركة في الفعاليات، كرّس جل وقته للدراسة ثم لتنظيم الفعاليات القادمة وللأسرة. كان يعبر يومياً ملعب كرة القدم عصر كل يوم حاملاً معه رزمة من الكتب والملازم البحثية ذاهباً إلى صومعته في المكتبة حتى قبل منتصف الليل للبحث والدراسة تحضيراً لرسالة الماجستير والتي كان يعدّها.

له سجل حافل في مقارعة الدكتاتورية فكرياً ونظرياً، قوي المنطق، يقارع الحجة بالحجة مؤمن ومدافع شرس عن أفكار الطبقة العاملة وحزبه المقدام، تعرض للكثير من المضايقات والمخاطر وخاض تجربة السجن المريرة في فترات من حياته وأزمنة العراق المتعددة من أجل وطن حر وشعب سعيد.

في الفعاليات التي كانت الأكاديمية تقيمها في القاعة المركزية مثل احتفالات ثورة أكتوبر ورأس السنة الميلادية وعيد المرأة وعيد العمال العالمي وحيث ان الكلمات باللغة البلغارية ونتيجة لقلة المترجمين فقد كان يحضر مبكراً متأنقا بطلته البهية وابتسامته المشرقة بمعية زوجته أم أسيل، يقف على رأس الطاولة وظهره للمنصة يترجم لنا كلمات القادة والوفود بكل مهنية واقتدار.

افترقنا قبل ستة وأربعين عاماً، ولم يتسن لي أن تقرّ عيني برؤيته ثانية سوى مرة واحدة في مدينة مالمو السويدية في ندوة أقامها في تسعينيات القرن الآفل.. وكم كان متواضعاً حين دعاني في الاستراحة

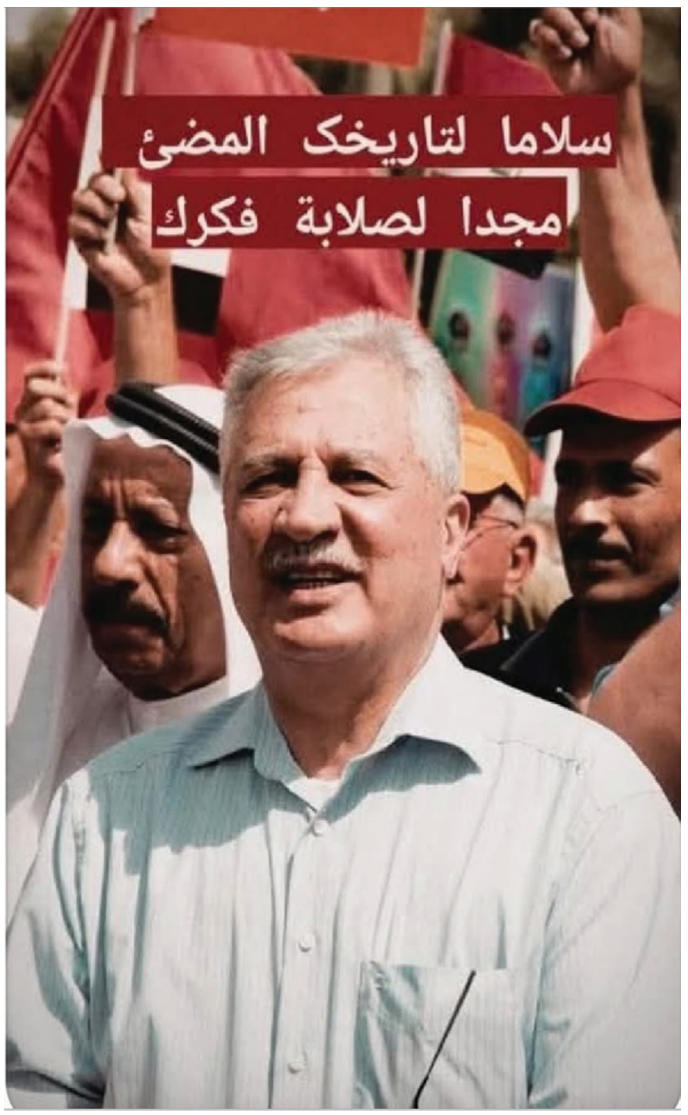

لأخذ حصتي من الشاي والقهوة معاً ونحن واقفين في صف طويل شأنه في ذلك شأن بقية الحضور.. ليسألني عن البحرين وظروفنا الصعبة آنذاك.

المرحلة الأخيرة كانت عدة مكالمات هاتفية مع أفراح عيد الميلاد ورأس السنة الميلادية، وكم كان يبث فيّ روح التفاؤل والانتصار والتغيير القادم، وهو ما حصل عندنا عام 2001، وما حصل في العراق بسقوط حكم صدّام في عام 2003.

كنتُ أتسقط أخباره وعائلته، ولكن نتيجة لزيادة أعبائه الرسمية والتزاماته السياسية والبرلمانية العديدة ولظروفه الصحية تجنبت الاتصال والتواصل إلى أن غادرنا بهدوء كطبعه، في خسارة كبيرة لا تعوّض لشخصية وطنية وأممية عراقية ويظل أبو داوود حميداً في طبعه مجيداً في تاريخه عصياً على النسيان.

سلاماً لروحه، ولأسرته ولرفاقه ولنا جميعاً الصبر الجميل مستلهمين منه كل قيم الخير والعطاء والمثابرة من اجل وطن حر وشعب سعيد.

(قف)

عــن الصحــافــة والثقــافــة

الصحافة الثقافية. أي ماذا؟ هل نتكلم عن شيء قائم بذاته، أم نتكلم عن الصحافة؟ وما هي علاقة الثقافة بالصحافة؟ وأين هي الصحافة العربية؟ وعن أي ثقافة نتكلم؟

في مقالٍ قديمٍ كتبه الروائي والناقد اللبناني الياس خوري إبان الحرب الأهلية طرح كل هذه الأسئلة، والجواب، كما يقول، أن نقفز فوق الحقيقة ونتحدث بأحد وجهين. وجه يستعيد أيام «النهضة» حيث كانت الصحافة هي إحدى الأدوات الثقافية الأساسية، التي جرى فيها تحديث اللغة، وتمت على أرضها عمليات الاقتراب من أنواع أدبية جديدة: الرواية، القصة، المقال إلى آخره ... وندعي ان الصحافة العربية تتابع الرسالة، رغم بعض الإنحطاط، أو ننسب الإنحطاط إلى القمع أو النفط، ثم نسكت. أو وجه يرى الصحافة بوصفها إعلامًا، والإعلام اليوم هو فن مستقل، وقد انفصل نهائيًا عن الأدب، ليدخل في سياق آخر، إنه جزء من بناء الأيديولوجية المسيطرة، وهو تاليًا من عناصر القرار السياسي، الذي يتجاوز اليوم الحدود والقارات.

والدليل على ذلك هو دور «السي أن أن» خلال غزو العراق، حيث كان الخبر – الصورة هو الحدث، وهو جزء من آلية القرار الأمريكي، في عملية تحطيم العراق. وفي هذا السياق، يقول إننا كعرب، خارج هذا العالم الذي يصنعه الكومبيوتر، وأننا لسنا، في الصحافة سوى مترجمين للخبر من مصادره الأجنبية، وأن صحافي أو مثقف هذه الأيام ليس بأفضل حالًا من مثقفي القرن التاسع عشر ووجهائه الذين اشتغل قسم منهم كتراجمة للقناصل ...

هكذا ينتهي الموضوع، ونعفي أنفسنا من عناء البحث عن جواب مقنع أو عن سؤال حقيقي، يمس التعبير الثقافي العربي، وهو يتخذ من الصحافة منبرًا له.

والملفت أننا، في العالم العربي، اقتنعنا بانفصال الصحافة عن الثقافة فأفردنا للثقافة صفحاتها الخاصة، وتركنا الإعلام يصول ويجول على مجمل صفحات صحفنا. أي أننا، ونحن لا نملك إعلامًا، اقتنعنا بأننا نملكه فصرنا مجموعة من المترجمين على الصفحات الدولية من جرائدنا، واكتفينا من الثقافة بصفحة أو نصف صفحة. أما صفحات السياسة الداخلية، فهي مخصصة للمدح بلا وزن ولا قافية، فأحدثنا في الثقافة العربية ما لم يسبقنا إليه الأجداد، وهو تحويل النثر إلى مدح، بعد أن تركنا الشعر أو بعضه يسافر إلى رحلة الحداثة.

السؤال إذن ليس عن الصحافة الثقافية، بل عن الصحافة العربية. كيف تنتج الصحافة العربية وهي محاصرة بالترجمة والقمع ؟ هل هناك مكان لإعلام حقيقي ؟

أم أن النظام الدولي الجديد ، وهو يقوم بإلغاء العالم الثالث، فانه يهدف إلى محو كل تعبير في هذا العالم، كي يكون خارج الحضارة، في الدمار والدم والهمجية.

الصحافة العربية تعيش أزمتها الكبرى. فبعد إنهيار التجربة شبه الليبرالية في بيروت، دخلت الصحافة في مرحلة «الهجرة» داخل شرنقة الأنظمة، إلى أن انتهت التجربة أو تكاد، في شرنقة واحدة، هي شرنقة الأنظمة النفطية، التي تحولت إلى وحش إعلامي مسيطر. وتبدو الصحف اليوم، تملك رئيس تحرير خفيًا واحدًا، فالهجرة لم تكن كما في هجرة الأفغاني بحثًا عن الحرية، بل تحولت إلى وقوع في أسر النفط، وإلى الخضوع الكامل لمنطق التبعية .

أما الصحف التي لم تهاجر، فإنها عاشت وتعيش مأزق الحرب، ومثّلت آخر منابر المعارضة العربية، التي تتلاشى اليوم، بعد أن وسع الوحش النفطي نشاطه، ليحاول الاستيلاء على الصحافة.

في هذا الواقع، ماذا نكتب وكيف ؟

تقول وجهة نظره، في هذا الوصف الذي قدمناه، لا يعفينا من مواجهة حقيقة الخيانة. خيانة المثقفين هي أكثر أشكال الخيانة فداحة. إنها خيانة اللغة.

تستخدم اللغة كي تفرغها من معناها، وتحيلها إلى ركام من اللغو واللا معنى. هي خيانة ليست ناتجة عن الإحباط كما تحاول أن توحي لنا، بل هي مصدر الإحباط. إنها خيانة الاندراج في النصاب الجديد الذي تؤسسه أمريكا وانظمتها المهيمنة على المشرق العربي.

إنها مرحلة جديدة على كل المستويات. والثقافة العربية، هي المستهدف الأول في هذه المرحلة. فالعصر الأمريكي هو عصر محو "الكرامة". ومن أجل محو الكرامة يجب تصفية الثقافة أو ما تبقى منها.

إن الكتابة المرتبطة بهذا الوحش المعدني هي إلغاء للكتابة، فعدا عن معوقات الرقابة والقمع والإرهاب، تأتي هذه الكتابة لتطلق رصاصة الرحمة على الوجوه المعنوي في المشرق العربي.

فالثقافة في العالم الثالث، وفي العالم العربي، لا تستطيع أن تكون إلا بوصفها معارضة، الاعتراض هو الذي يسمح للثقافة بالتعبير، في مجتمع محروم من إنتاج حياته ونظمه وسياسته، لذلك لا تستطيع الثقافة أن تكون، إلا بوصفها معارضة واعتراضًا ضد الذي يحاصرها بالنفط والقع والخيانة

المعارضة ليست تبشيرًا. المعارضة تتخذ لنفسها شكل الاقتراب من الحقيقة. إنها تنطلق لتصل إلى الأعماق المطمورة في الذاكرة بهذا الحاضر الذي يجب تغييره، أنها الذاكرة في زمن محو الذاكرة، والحلم في زمن انهيار الأحلام، والرغبة في زمن الرغبات التي تباع في سوق العبيد.

الثقافة هي دفاع عن الكرامة والحق في الوجود. إنها ثقافة البقاء.

والبقاء يحتاج إلى لغة جديدة وإيقاعات جديدة، كي يعلن أن دورة الحياة لا ينهيها جنرال أمريكي متعجرف، أو لغة القمع والوصاية والإرهاب الفكري .

فهد المضحكي

الصـــــوت الصـــــافـــــي

قاسم الحلال

الفن الموسيقي هو الفن الوحيد من بين الفنون الذي يعتمد على الزمن، وذلك من حيث توقيت النغمات الايقاعية، وفي فواصلها تعتمد على دقة الزمن المبرمج، حيث يوظف بطريقة دراماتيكية متزامنة الرتابة والأصول، وإذا اعتمد الفن على العشوائية في الإيقاع الزمني يسمى (نشازاً)، فالفن تلقائياً يتفاعل مع الإيقاع والصوت والنغمة برتابة زمنية وبعناية دقيقة لكي تصل الأحاسيس للمستمع ليبلغ دروة الاستمتاع، حيث يبعد الكآبة والحزن والشرود عن النفس، وهذا هو السر في إنجاح معالجة العلة والتذمر عند الانسان، حيث يصبح دواءً شافياً.

يتحتم على الفنان الملتزم الالتزام بدقة موازين الفن الموسيقي الجاد لينجح في توظيف هذا الفن الرائع توظيفاً مؤثراً في كوامن الذات الإنسانية ليخرجها من الكآبة والتجهم والحزن إلى ساحات الفرح والسكينة الهادئة، من هنا ارتأيت أن أضع النماذج الفنية التي أثرت في كوامني نفسياً، حيث تنتشلني من آهات الكآبة والتقوقع إلى حالات الفرح والعلاج بالصوت الرخيم.

في السبعينات من القرن الماضي، حيث الحرب الأهلية اللبنانية مستعرة في معظم ربوع لبنان الجميل: فندق الهوليدي ان وقلعة الشقيف وحي السوديكو وفتحة الدفرسوار والكرنتينة ..إلخ، فالحرب دمّرت الكثير من لبنان، معالمه وعمرانه والكثير من بنيته التحتية، وقتل الكثير من خيرة أبنائها على أيدي الفاشية الموالية للصهيونية بقيادة العميل الفاشي سعد حداد الذي شكل (دولة جنوب لبنان)، بتمويل الموساد الإسرائيلي، حيث أسس معتقل (أنصار) الذي سقط فيه الكثير من المناضلين الفلسطينيين شهداء تحت التعذيب على أيد الفاشيين من اليمين المسيحي، ما أدى إلى بروز حركات احتجاجية عربية ودولية.

لقد توقفت عند الصوت (الصافي) الصادق المنبعث من رائحة التفاح والزيتون، من ميادين الحقول وبقاع الأرز. حيث يصدح صوت وديع الصافي من وسط باريس، من وسط عبق (الكولونيا). حيث شدا بصوته الجبلي الرخيم، معبراً عن حب المغترب المشتاق لوطنه، يغني بشوق الحبيب لحبيبته:

«جايين يا أرز الجبل جايين../اشتقنا لجبل نيحا لجبل صنّين/ تحت السّما ما في مثل لبنان../ لبنان أحلى وجّ أعلى جبين../ اشتقنا لبعلبك وقلعتها/ اشتقنا لزحلة لجرن كبّتها/ لبيت شْباب .. لإهدن لحَصرون../ لصوفر لعالَيه لبحَمدون/ لجزّين للباروك لبعَقلين../جايين يا أرز الجبل جايين.. جايين ... إلخ

ثم يغني بصوت متهدج حنون خافت معبراً عن لوعة حبيب لحبيبته:

«شو صار مدري بحالها شو صار/لا علم من صوبها ولا أخبار/ بكتبلها بيعود مكتوبي/ مرتجع ما في حدا بالدار/ كل ما شفت انسان بستناه/ وبوقفو وبحكي أنا وياه/ تا يوصل المكتوب بترجاه/ يبتسم وبيفوتني محتار.. محتار/ وبيعملوا جلسات أهل الحي/ قال لازم شد حالي شوي/ قلتلهن اللي بإيدو مي/ مش مثل يلي في بإيدوه نار.. نار..».

وفي أغنية يعاتب أبنه مروان بنبرةٍ نصوح مليئة بالشجن:

"لوين يا مروان عامهلك/ عامين تارك أرضك وأهلك/ سنتين صارلي شايفك حيران/ ما كنت كلمة لوم وجهلك/ كنت قول بعدو ولد جهلان/ خلك يا ابني تفيق من جهلك/ توعّى توعّى شوي يا مروان/ خلّيك مع أهلك ولا تهلك".

أحمد قعبور الذي حوّل «أناديكم» إلى نشيد جماعي

من وحي قصيدة «أناديكم» التي كتبها الشاعر الفلسطيني توفيق زيّاد وغنّاها الفنان اللبناني الذي رحل عنا قبل أيام، أحمد قعبور، يمكن قراءة تجربة شعر المقاومة الفلسطينية بوصفها واحدة من أهم الجسور التي عبرت من القصيدة إلى الأغنية، ومن الصفحة إلى الجمهور العربي الواسع. لقد تحوّل هذا الشعر، بفعل ظروفه التاريخية والوجدانية، إلى مادة موسيقية حية، تستدعي اللحن كما تستدعي الهتاف، وتطلب الصوت الجماعي أكثر مما تكتفي بالقراءة الصامتة.

منذ ستينيات القرن الماضي، خرج شعر المقاومة الفلسطينية من إطار النخبة الثقافية الضيق إلى الفضاء الشعبي. كانت القصائد تُكتب في سياق مواجهة مباشرة مع الاحتلال، لذلك جاءت مشحونة بإيقاع داخلي قوي، وصور بسيطة مكثفة، ونداءات مباشرة: «أناديكم»، «منتصب القامة أمشي»، و»احنّ إلى خبز أمي» هذه الصياغات، التي اعتمدها شعراء مثل محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زيّاد، كانت بطبيعتها قابلة للغناء، لأنها تقوم على إيقاع واضح، ولغة تصل إلى الجمهور.

حين لحّن أحمد قعبور قصيدة «أناديكم»، لم يكن يضع موسيقى على نص شعري فحسب، بل كان يمنح القصيدة حياة جديدة. تحولت الكلمات إلى نشيد جماعي، تتردد في المسارح والجامعات والمخيمات، وتُغنّى في لحظات التضامن والتآزر.هنا تحديدًا يتجلى التحول: الشعر يصبح فعلاً جماعياً يُغنّى.

إعـــادة قـــراءة .. إعـــادة كتـــابـــة!

د. حسن مدن

في "المقدّمة" يذهب ابن خلدون إلى أن "التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الدّول والسوابق من القرون الأُوّل، تنمو فيه الأقوال وتضرب فيه الأمثال، إلا أنه في باطنه نظرٌ وتحقيق، وتعليلٌ للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل، في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعدّ في علومها وخليق". وكأننا بابن خلدون في هذا يحضّنا على التفكّر في الحاجة الدائمة التي لا تنتهي لإعادة تأويل التاريخ، حيث لا قولاً نهائيا فيه، حين تصبح جميع الأحكام خاضعة لإعادة الفحص والتدقيق.

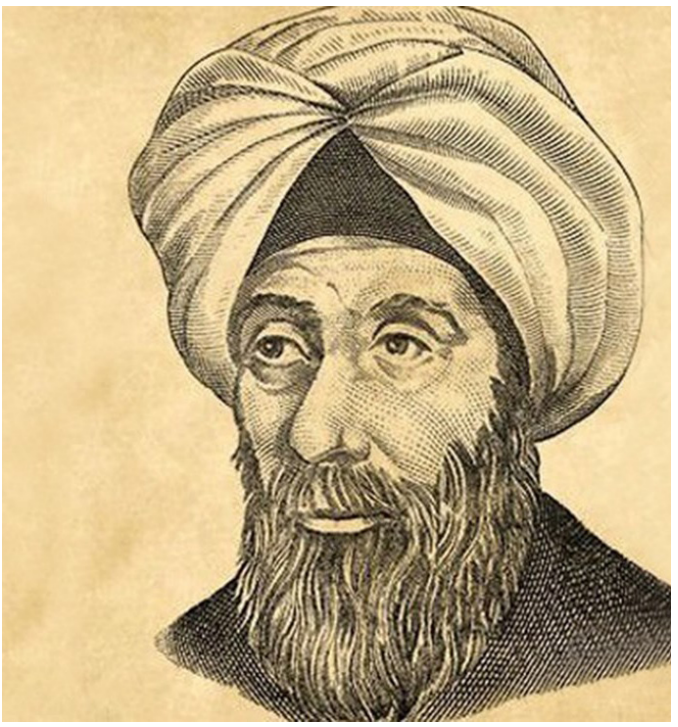

ابن خلدون

غوته

ولعلّ هذا ما عناه الأديب الألماني غوته حين قال إنه "يتعيّن إعادة كتابة التاريخ بين حين وآخر". وهي دعوة شديدة الجاذبية، ذلك أنها تُحرضّنا على ألا نستسلم للمرويّات المتوارثة، وأن نعيد تدقيقها والبحث عما هو خارجها، بمعنى ما أغفلته سهواً أو عمداً، وخاصةً عمداً، إذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة المتواترة من أن التاريخ كتبه المنتصرون، فأقصوا، وهم يكتبونه، كل ما لا يتلاءم وأهواءهم ومصالحهم. لكن عبارة غوته حمَّالة أوجه، فالدعوة لإعادة كتابة التاريخ بين حين وآخر، قد تؤوّل على أنها حثٌ لمن آلت إليهم الأمور لأن يعيدوا كتابة التاريخ وفق أهوائهم ومصالحهم، ما يُقصي مرويّات اعتمدها الناس قبل ذلك، خاصة أنه من المستحيل الجزم بأنّ إعادة كتابة التاريخ هي، في المطلق، أفضل من كتابته الأولى، فهي نفسها قد تكون تزييفاً لوقائع هذا التاريخ، فيما أصحابها يزعمون أنهم يغربلون التاريخ مما لحق به من زيف.

أحدهم قال: "إنّ التاريخ لم يقع .. والمؤرخ لم يكن هناك". وأيا كان الأمر فإن التاريخ قد وقع، لكن المؤكد أن المؤرخ لم يكن هناك بالفعل، لم يكن موجوداً وقت وقوع الحادثة، وهناك من شبهه برجل المرور الذي أتى متأخراً للتحقيق في حادثة مرورية في مكان وقوعها، وأعدّ روايته لما حدث نقلاً عن الشهود، والشهود ليسوا مجردين من الأهواء، ثم أن محضر التحقيق تضمّن في خلاصته ما ظنّه المحقق صحيحاً، أي ما اقتنع به هو من شهادة هذا الشاهد، لا ذاك. وليس بوسع أحد أن يجزم في صورة مطلقة أنّ هذه الشهادة بالذات هي الحقيقة الناجزة.

في "المقدّمة" أيضاً صنّف ابن خلدون المؤرخين في خانات، أو طبقات حسب تعبيره، ومن هذه الطبقات، طبقة فحول المؤرخين، وذكر منهم: الطبري، ومحمد بن يحيى، ومحمد بن سعد الواقدي، ممن جمعوا أخبار الأمم في كتبهم. ثم طبقة الجهال، ممن وسمهم بالتطفل لأنهم خلطوا الأخبار بالباطل خطأ أو عمداً، واقتفى بعد هؤلاء جماعة قبلوا هذه الآثار واتبعوها وأدوها كما سمعوها، وتليهم طبقة المقلدين، الذين اتبعوا آثار هؤلاء ولم ينقحوا الأخبار ولم يراعوا طبائع العمران فيما حملوه من الروايات، وأخيراً طبقة المختصرين، الذين اكتفوا بأسماء الملوك والأمصار، كما فعل ابن رشيق في "ميزان العمل". علينا بعد هذا تخيّل كيف كُتب التاريخ أو أعيدت كتابته. وعودة إلى ما بدأنا به الحديث، فنقول إنّ التاريخ يظلّ دائما بحاجة لإعادة قراءة، وبالتالي لإعادة كتابة، وفي عبارة أخرى لإعادة تأويل. ربما لا يدور الخلاف حول أنّ واقعة تاريخية ما تمّت أو لم تتم، وإنما يدور في درجة أساسية حول الملابسات التي أحاطت بهذه الواقعة، وهو أمر يُذكّرنا بالفارق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ومن ضمن هذه الأخيرة التاريخ، فإذا كان بوسع عالم الفيزياء أو الكيمياء أن يجري الاختبارات العديدة في المختبر للتحقق من النتائج العلمية التي بلغها، فلا تغدو «حقيقة» إلا بعد فحوصات متأنية، فإنّ الباحث في العلوم الاجتماعية يشتغل في فضاءات اجتماعية ومعرفية معقّدة تجعله عرضة للخطأ أكثر من عالم الطبيعة، لأنه لا سبيل سريعاً لاختبار خلاصاته أو التحقق من مدى صحتها. كان الفلاسفة الطبيعيون قد لاحظوا ذلك حين نبهوا إلى أنّ مادة التاريخ بالذات غير ثابتة وغير قابلة للتحديد، لأن الاختبار والتجربة أمران غير ممكنين في الدراسة التاريخية.

ربما تتصل العودة المطلوبة للتاريخ بالجزئيات والتفاصيل التي كثيراً ما جرى إهمالها لصالح التعميمات، أي الوقوف عند الأحداث الكبرى كالحروب والغزوات، وإغفال ما كان خلف ذلك أو في موازاته، بصفتها عناصر لها سياق مستقل له سيرورته الخاصة به التي ظلّت مستمرة ولو على «هامش» التطورات الحاسمة.

حين نصبح غرباء في قصةٍ بدأناها معاً

في لحظةٍ فاصلةٍ بين الحياة والموت، يُروى أنّ الفنان العراقي فؤاد سالم، كابد الكثير في الحب بسبب الملاحقات الأمنية التي كان يتعرض لها لاختلافه السياسي مع النظام آنذاك. خسر امرأة كان يتمنى الزواج بها بسبب رفض أهلها له. وحين تزوج من مي جمال وأنجب منها الفنانة العراقية نغم، لم تتركه السلطات مستقراً في بلده مع الحب والأسرة التي حلم بها. ولدت أغنية «مو بدينه نودع الحبايب مو بدينه، والعشق لحظه عمر وتمر علينه، مو بدينه»، حيث تعبر هذه الكلمات عن ألم الفراق، عندما اضطر فؤاد سالم للهرب تاركا زوجته، مي جمال، في العراق، والتي رفضت اللحاق به في غربته، حتى يؤسس نفسه في الكويت ولم تلحق به في نهاية المطاف، فكانت خيبة الأمل.

سوسن حسن

ليست كل قصص الحب درامية لهذه الدرجة، ولكن كثيراً منها لا يشبه ما حلمنا به عندما نعيشها أو عندما يتسلل الوقت والضغوط الاقتصادية والاجتماعية عليها. حين لا يشبه الحب ما حلمنا به، لا يحدث الانكسار فجأة. لا يطرق الباب معلنًا حضوره، بل يتسلل بهدوء، كضيفٍ ثقيل الظل، يجلس بيننا دون أن ننتبه. في البداية، نظنّ أن كل شيء بخير. نبرّر المسافات الصغيرة، نصمت عن الخيبات الخفيفة، ونقنع أنفسنا أن الحب يمر بمراحل، وأن التعب عابر.

لكن شيئاً فشيئاً، تبدأ التفاصيل التي كانت تملأ القلب دفئاً في التلاشي. يصبح الكلام أقل، الكثير يحب ممارسة الصمت العقابي في الحب دون الوعي بأنه يقتله، ويصبح الاهتمام أخف، والنظرات أقصر. مع الأسف، لا يعود الغياب مؤلماً كما كان، بل يصبح مألوفا... كأننا تعودنا على النقص. في العلاقات، لا يكون الألم دائماً في القسوة، بل في البرود، في ذلك الشعور الصامت، بأنك تنتظر الاحساس بالأمان والتفهم اللذين اعتدناهما واختفيا، في ذلك الشعور بأنك تبادر أكثر مما تتلقى، وأنك تفسر، وتبرر وأنت مظلوم، وتنتظر أكثر مما ينبغي. أن تظلّ متمسكاً بصورةٍ قديمة للحب، بينما الواقع ينسحب منك بهدوء.

قبل الزواج، هناك دائما أحلام، ووعود جميلة، ولكن بعد الزواج صدمات تشمل عدم تقبّل كل صفات الشريك، وهناك نوع من النسيان البطيء للحب والسأم، نتغاضى عن كثير من العيوب بسبب الحب. لكن ما عسانا أن نفعّل إن اختفى؟ نحن لا نحزن لأن الحب انتهى، بل لأننا ما زلنا نراه حيّاً في ذاكرتنا. نحزن لأننا تذكرنا كيف بدأ، وكيف كنا، وكيف كنا نظن أنّ الأمور ستسير. نحزن لأنّ الوعود التي قيلت بصدق، لم تجد طريقها الى الاستمرار. وربما أكثر ما يؤلم، ليس الخذلان نفسه... بل الصمت الذي لا يُفسر، والذي نحب اللجوء اليه للهرب من المواجهة.

بدل أن نواجه مشاكلنا في سبيل الإصلاح، نختار الصمت الذي لا يفسر، ولا يعتذر عنه. كأن المشاعر التي كانت يوماً صاخبة، اختارت أن تختفي دون ضجيج.

هل هذا هو الحب الذي سنورثه لأبنائنا؟ نظل نحاول أن نفهم. أن نمنح الأعذار، أن نعيد ترتيب المعنى، أن نخفف من وطأة الحقيقة: أن الحب، أحيانا، لا يكفي وحده وأن النوايا الطيبة لا تحمي العلاقات من التآكل، إذا غاب الحضور، وغاب الاهتمام، وغابت الرغبة في الاستمرار. الزواج هو الرغبة في المكافحة كل يوم من أجل المضي قدماً نحو الشعور بالأمان والاستقرار.

لماذا هناك زواجات تستمر مدى الدهر، بالرغم من أنها لم تبدأ بحب صارخ، فيما تلك التي تبدأ بحب كبير تنتهي في وقت قصير؟ نصبح حينها غرباء في قصة بدأناها معاً.

حين لا يشبه الحب ما حلمنا به، نتعلم درساً قاسياً، لكنه صادق: أن الحب ليس ما نشعر به فقط، بل ما نفعله لأجله، وأن البقاء لا يحتاج إلى وعودٍ كبيرة، بقدر ما يحتاج إلى أفعال صغيرة ... مستمرة دون انقطاع.

وفي النهاية، قد لا نجد تفسيراً واضحاً لكل ما حدث. قد تبقى الأسئلة معلّقة، والذكريات حيّة، والفراغ حاضراً لكننا، بطريقة ما، نتعلّم أن نكمل. أن نُرمّم أنفسنا بصمت، وأن نعيد تعريف الحب، لا كما كان، بل كما يجب أن يكون.

الغـــرفـــــة الـــــزرقـــــاء

في هذا البيت العائلي ثمّة تاريخان، التاريخ العادي الذي يسير على مهل والتاريخ الاستثنائي الذي يظهر فجأة كالوميض السريع، وكان من المؤمل أن يجري كل شيئ فيه بشكلٍ اعتيادي ورتيب حيث الوجوه ذاتها والتفاصيل اليومية ذاتها، لكن شاءت الصدف أن يحظى هذا البيت بغرفةٍ في طرفٍ قصيٍّ منه.
غرفة فارغة متوارية نسبيا غير مأهولة رغم اتساع نوافذها وجمال إطلالتها. الطبيعة، كما يقال، تكره الفراغ، ولكن الفراغ يبدو ملهماً ومحفزاً للتغيير الإيجابي والسلبي معاً.

عصمت الموسوي

وإن جاز لنا أن نحكي قصة هذا البيت فسوف يكون لهذه الغرفة النصيب الأكبر من الدراما ومن احتدام المشاعر والخوف والفرح والترقب والانتظار. في البداية بدت هذه الغرفة العلوية المسالمة متسعاً للعب الأطفال ومشاركة أقرانهم وأصدقائهم فيها، كانوا صغاراً لا تتجاوز أعمارهم السادسة والسابعة، وكان بإمكانهم أن يفعلوا فيها ما يشاؤون، فلا أحد يقيم وزناً للترتيب والنظام في الغرفة المنسيّة البعيدة عن الأنظار وعن الرقابة. أثناء لعب الأطفال وبعيداً عن الأعين الفاحصة، أقدم أحدهم على إغلاق الباب من الداخل وأضاع المفتاح، مضت عدة ساعات والأطفال في الداخل عاجزين عن الخروج، يعتصرهم الخوف ويتسرب إليهم الجوع والعطش.
تعالت الأصوات واحتدمت الآراء، كان أمام العائلة خياران، إما كسر الباب أو اللجوء إلى مساعدة ادارة الدفاع المدني، وماهي إلا نصف ساعة حتى تمّ اقتحام الغرفة من إحدى نوافذها في الخارج وتحرير الأطفال المرعوبين بداخلها.
في فترة المراهقة شهد البيت أعاصير المراهقة وزوابعها وذلك التحوّل العميق في شخصية الأبناء ورغبتهم في إثبات ذواتهم والتجرأ على منازعة ومشاكسة آباءهم، ومرةً أخرى لاذ الابن الأكبر إلى الغرفة الصامتة واعتبرها قلعته الخاصة الحصينة.
أقام فيها وأغلق بابها وامتنع عن الأكل والمدرسة، ومارس فيها تمرده وعصيانه على الأوامر والنواهي الأبوية. أقدم على طلاء جدرانها باللون الاحمر وألصق على جدرانها شعاراته المعبرة عن الغضب والثورة والهوية الجديدة المتبدلة، والرغبة في المغادرة والهجرة. جرى تسميتها بالغرفة الحمراء، التي كان الاقتراب منها في ذلك الوقت ينذر بالمخاطر.
ومضى الزمن بالبيت وأصحابه وتبدّل حال الغرفة وهدأت نسبيا شخصية الأبناء. تمّ إعادة طلائها باللون الأبيض انسجاماً مع تحوّلها إلى إستوديو موسيقي، من هذه المساحة تعالت الأصوات الجميلة والعزف على الجيتار، وحضر مدرسو الموسيقى وعشاقها من الأهل والأصدقاء. بعد عدة أيام طرق الباب أحد الجيران، قال لأصحاب البيت بنبرة هادئة وحازمة: تصلني أصوات موسيقى كل ليلة من تلك الغرفة المطلة على بيتي، وأشار بيده إلى الغرفة متسائلاً: هل لديكم رخصة إقامة ستوديو في هذا البيت؟. تبيّن انّه يلمح إلى اقامة شكوى رسمية.
ودارت الأيام وكبر الصغار وهجروا البيت للدراسة، وجاءت الجدّة إلى هذا البيت بعد رحيل الجدّ، حيث جرى إغرائها بغرفة جميلة وفارغة تبدد وحدتها وتبقيها قريبة من أحفادها. تمّ تجديدً المكان. أزيلت آثار الموسيقى والألوان ولوحات صخب المراهقة وشعاراتها المتناثرة على الجدران. أعيد طلاء الغرفة مرةً ثالثة باللون الأزرق الفاتح وجيئ بالستائر والمفارش والأثاث المنسجم، بدت الغرفة في غاية الرومانسية والهدوء، صار البيت مزاراً لكلّ أفراد العائلة، أما الغرفة الزرقاء فقد استحالت إلى صالة للضيوف وقبلة للأبناء والزوّار والأطباء والمعالجين. تغيّر كل شيئ في البيت على وقع الضيفة الجديدة، فقد أحدث وجود الجدة تغييراً شاملاً في البيت وفي حركته وتنوع أنشطته، وعرف أحداثا ووقائع وحكايات غير مألوفة، ظلّت العائلة تستذكرها كمحطة أخيرة وجميلة في تاريخها.
في العام 2019 حلّ كوفيد على العالم. اضطر الموظفون للعمل عن بعد، أصبحت الغرفة التي احتفظت بطلائها وألوانها وجرى تسميتها بالغرفة الزرقاء، أفضل مكان لممارسة العمل المكتبي الإليكتروني عن بعد، غرفة كوفيد كما صارت أيضاً ملاذا لمصابي كورونا والمبعدين من أفراد العائلة عن الاحتكاك والملامسة تجنباً للعدوى.
تبدلت الحياة الاقتصادية والأعمال والوظائف حول العالم بعد رحيل كورونا، ومرةً اخرى أغرى شغور الغرفة الزرقاء الابن الأكبر بتأسيس تجارة جديدة تعتمد الشراء والتسوق الإليكتروني، أصبحت هذه انعطافة كبرى في حياة الشاب الذي ترك عمله المعتاد واختار التجارة الإليكترونية، كما أنّها نقلة نوعية للغرفة الطيبة التي لا ترد زائراً ولا محتاجاً، وهكذا أعيد ترتيب الغرفة من جديد. تمّ بيع أثاثها القديم وأسرّتها وخزائنها وجاءت شحنات البضائع واستولت على المكان بالكامل. ضاعت معالم الغرفة المنزلية ذات التاريخ الحافل وصارت مخزناً رمادياً كالحاً لكنّه يدّر المال في زمن شحّة الوظائف.
حلّ زمن الحرب مجدداً في المنطقة وانعكس الوضع على البلد. أفرغت الغرفة من البشر والبضائع، وأعيد تأهيلها مجدداً لاستقبال بعض أفراد أصدقاء العائلة المتضررين في مناطق سكناهم.
حين سكنت العائلة هذا البيت عام 1990 مع انطلاق الغزو العراقي للكويت، كانت الغرفة الزرقاء جديدة وساكتة وصامتة، لكن نوافذها الواسعة لم تكن آمنة، فقد أشيع وقتها أنّ الغاز الكيماوي السام سيحبس الأنفاس ويخنق الرئات. جرى اتخاذ الاحتياطات اللازمة وتمّ تثبيت الشرائط اللاصقة على النوافذ والأبواب والفتحات تجنباً لتسرّب الغاز.
اليوم يرتجّ زجاج نوافذ الغرفة الزرقاء على وقع أطلاق الصواريخ المنفلتة في سماء البلد. عادت الغرفة إلى صمتها وهدوئها لكن ذلك لا يشي إلا بفراغ قصير ومؤقت كما يبدو، إذ لا تزال على استعداد دائم لتقبّل كل مَا هو جديد ومختلف. كان فراغها جاذباً ومُوّلداً للأحداث ومبدداً للملل.
الغرفة التي عاشت حيوات عديدة ومتنوعة أسبغت على البيت الكثير من التجديد والحيوية والنشاط، ولا تزال غرفة حرّة، غير مملوكة لأحد، تصمت ثم يعلو ضجيجها، تمتلئ وتخلو، تقلق وتفرح، وتظل تنتظر وتنتظر.

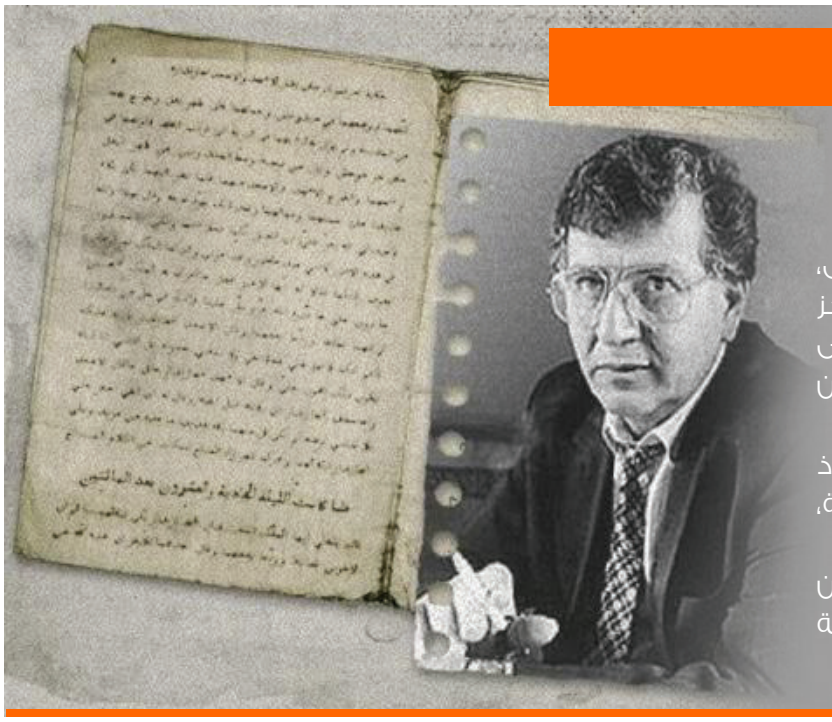

حـــول «مِنفَضــــة» سميـــح القـــاســـم (٤)

ما من سفرٍ محايد لدى سميح!

«قصص السفر مشبعة دائماً بالدموع والابتسامات، فما من سفر محايد كما ترى، وما من سفر يقتصر على جواز السفر والتذكرة ومواعيد الاقلاع والهبوط ومراكز التسوق..». هكذا لخص سميح القاسم مشاعره وهو يتذكر حكايا سفراته إلى مختلف البلدان في حياته. يقول "تكررتْ سفراتك جواً وبحراً وبراً، وكنت تعود من كل رحلة بشحنة عاطفية كبيرة".

يبدو أن السفر كان عنصراً أساسياً في إنضاج شخصية سميح عبر السنين، إذ اعتبره "شرطاً أساسياً وجوهرياً لأية عملية ابداعية. وللسفر ثقافته الخاصة، ومتعته التي تتعدى المتع السياحية الصرف.

ثمّة تراكم معرفي مفترض، وتعميق مفترض للتجربة الذاتية"، ويضيف "كان لك من أسفارك ما يكفي لإشغال بقيتك الباقية من العمر، استذكارا ومراجعة وتلخيصا وتدوينا".

محمد ديتو

حين كان سميح منهمكاً في كتابة سيرته الذاتية "إنها مجرد منفضة" أدرك بأنه على الرغم من حبّه للسفر لأكثر من ثلاثة عقود من حياته، إلا أنه بعدها "أصبحت مُتعة الاستذكار أكبر من متعة السفر نفسه" خاصة بعد صعوبة حركته الجسدية بعد حادث السيارة المشؤوم. ولكن على الرغم من ولعه بالسفر، كان سميح شديد التعلق ببلدته الصغيرة "الرامة" في الجليل. ويبدو كما يتضح من سرده في الكتاب، بأنه تمكّن عبر السنين من صياغة علاقة جدلية بين تعلقه ببلدته "الرامة" من جانب، وحبه للانفتاح على العالم من جانب آخر. "الأماكن الصغيرة تشكّل عقولاً صغيرة" حسب تعبيره، ويضيف: "هذا نفسه ما أقنعك بأن السفر ضروري ليس لمشاهدة الأمكنة والمجتمعات فحسب، بل للتفاهم معها. ومع كثرة التباينات وشدّة التناقضات تكتشف أن الأفق الأرحب ينتج العقل الأرحب، ويجعل الإنسان أكثر تواضعاً وأكثر استعداداً للتعامل مع النقائض والغرائب والعجائب، بروح تطلب التفاهم ولا تفتعل الصراع. بعبارة أخرى فأنت تعتقد أن التجوال والترحال يجعل الإنسان أكثر انسانية، وأقل قابلية للتقوقع والانكماش على الذات، وأكثر تهيؤاً للصفح والتسامح، وأكثر قدرة على المحبة، وهذا بالذات ما جعل احساسك بالغربة الجغرافية قليلاً لدرجة الندرة."

سميح القاسم لم يتعامل مع السفر بوصفه سياحة صرفة، حسب تأكيده في الكتاب: "تعلم أنك لست سائحاً محترفاً. وسفرك المزمن والباهظ مرتبط دائماً بقراءات شعرية أو بندوات فكرية ومؤتمرات سياسية. ومع وجود العنصر الاكتشافي السياحي فإن العمل والرسالة والمهمات الوطنية تظلّ العناصر الأبرز في جولات سفرك". حين سافر لأول مرة خارج الوطن عام 1968، كان ذلك ضمن مهمة نضالية مع رفيقه محمود درويش للمشاركة في مهرجان الشباب والطلبة العالمي في صوفيا عاصمة جمهورية بلغاريا الاشتراكية آنذاك. كانت رحلة مشبعة "بالدموع والابتسامات"، أي مليئة بالمشاعر المتناقضة؛ فمن جانب هناك الترحيب الحار من قبل محبيه من قراء قصائده في العالم العربي، وهناك من جانب آخر حملات المقاطعة والتشويه التي استهدفته من المتعصبين القوميين آنذاك.

كانت موسكو من المدن التي احتفظ سميح بعلاقة حميمية خاصة معها. سميح يتذكر سفرته إلى موسكو عام 1971، لدراسة الفلسفة والتاريخ والاقتصاد السياسي في المعهد الحزبي الشهير هناك، وشعوره بالبهجة بلقاء الرفاق الوافدين من مختلف اقطار العالم، وتذكر كيف أن لطفي الخولي قد عرض عليه لقاء أنور السادات الذي تصادف وجوده آنذاك في العاصمة السوفيتية، فما كان من سميح إلا أن اعتذر بشدة قائلاً: «آسف يا لطفي. لست في حالة نفسية تتيح لي لقاء الرجل.وصدّق يا لطفي أن ضميري سيؤلمني لو ذهبت لمثل هذا اللقاء.»

في إحدى سفراته اللاحقة إلى موسكو تصادفت فترة وجوده مع فعاليات دورة أحد مهرجانات السينما آنذاك، حيث قام عدد من الفنانين المصريين بزيارته بالفندق، وكانت بينهم الفنانة سعاد حسني، وحين شاهد سميح حقائبها الكثيرة المملوءة بالهدايا علّق مداعباً: "يا لك من فنانة برجوازية! ولم يتأخر ردّ سعاد حسني التي كالت لك الصاع صاعين: أنا بورجوازية؟ طب بُص شوف أنا جايبالك إيه هدية.. أهو .. لينين شخصياً! وقدمت لك تمثالاً نصفياً لفلاديمير لينين. ومازلتُ محتفظاً بالتمثال مع أشيائك العزيزة والغالية عليك جداً".

من المواقف بالغة الدلالة التي صادفها في رحلاته إلى الاتحاد السوفيتي آنذاك، رحلته الى جمهورية جورجيا وعاصمتها تبليسي، حيث زار أحد المساجد التاريخية على أطراف المدينة، ورأى هناك صندوقاً للتبرعات الضرورية لصيانة المسجد والعناية به، فما كان من سميح إلا أن أخرج كل ما في جيبه وتبرّع بها لذلك المسجد، الأمر الذي أثار حفيظة بعض المسئولين الحزبيين السوفيت آنذاك وانتقدوه: «كيف تتبرع لمسجد؟ أنت علماني فلماذا يهمّك ذلك؟ عليك التخلص تماماً من الرواسب الدينية والقومية... قلت بهدوء: معذرة أيها الرفاق ...إن إقدام ستالين على إلغاء الحرف العربي واستبداله بالحرف

السلافي في جمهوريات آسيا الوسطى، كان خطأ فادحاً يارفاق...التغيير القسري خطأ...لابد من التثقيف والتعبئة دون إكراه ديني ومحو حضاري..“ (ص 136).

من القصص المؤثرة في ذاكرة ووجدان سميح القاسم حكايته مع الطفلة التونسية ”السمراء النحيلة والجميلة“ حسب وصفه. بعد انتهاء أمسيته الشعرية ذات يوم في العاصمة تونس خصصت الحكومة سائقاً ليقلّه الى المطار في صباح اليوم التالي. في الطريق استئذنه السائق لايصال بعض الأغراض إلى منزله طالما كان هناك متسعاً من الوقت، فوافق سميح عن طيبة خاطر. حين وصلوا إلى المنزل، هرع السائق وفي يده رزمة ليعود بعدها بلحظات ويسأل سميح: هل تسمح لطفلتي بأن تسلم عليك وتعطيك هدية متواضعة؟. خرجت من المنزل طفلة ترتدي فستاناً بسيطاً فضفاضاً وسألت سميح: أنت من فلسطين؟ نعم ياحبيبتي أنا من فلسطين. من القدس؟ نعم ياحبيبتي من القدس. قدمت الطفلة إليه كيساً صغيراً: ”في هذا الكيس بذور لنبتة طيبة الرائحة. هي عندنا كثيرة. وأرجوك بحق الله أن تزرعها لأجلي في فلسطين..في القدس“ .. إجتاحت القشعريرة سميح: ”طبعاً يا أميرة طبعاً ياحبيبتي سأزرعها لأجلك في فلسطين وفي القدس“. بعد عودة سميح إلى ”أرض الوطن“ كانت بذور الطفلة التونسية أهم ما يشغل باله، وعبثاً حاول زراعتها في القدس والرامة فلم تفلح محاولاته المتكررة وباءت جميعها إلى الفشل. كتب سميح: ”رحت تبث حزنك على بذور الطفلة التونسية في ندواتك وأمسياتك الشعرية.. في الرامة والناصرة وعكا وحيفا والقدس ويافا ولندن وباريس ونيويورك وفي عمان ومسقط والدوحة والمنامة .. ولاحظت أن عِبرة هذه ”المأساة“ تصل بيسر إلى القلوب والعقول“.

بعد أعوام عاد سميح إلى تونس وبينما كان منهمكاً بالإعداد لأمسيته الشعرية، رنّ جرس الهاتف في غرفته، ولم يكن المتصل سوى ذلك السائق والد الطفلة. صعد للغرفة: «آسف جداً. أعرف أنك مشغول لكن البنت جننتني. تريد أن تعرف ماذا جرى لبذورها» .. وصف سميح ردة فعله: « صَمتَّ مطأطئاً الرأس كأنك في جنازة.لكنك عدت واستجمعت قواك .. رفعت عينيك الى عيني أخيك التونسي: إذهب يارجل .إذهب إلى إبنتك التي جننتك وقل لها بملء الفم والقلب، إن بذورها عاشت في الرامة. وعاشت في القدس.وعاشت في فلسطين..وعاشت في أماكن أخرى..إذهب يا أخي وطمئنها إلى أن رسالة بذورها ستعيش في قلب كل عربي حرّ وحيّ وشريف.“ (ص 139-142).

من الحكايا المؤثرة أيضاً في رحلات سميح القاسم، حكاية لقائه مع شاب من غزّة في مطار فرانكفورت – كان ذلك في منتصف الثمانينات من القرن الماضي على ما يبدو- ونترك لسميح سردها (ص 325 - 327): «كنت عائداً إلى الوطن عبر مطار فرانكفورت وكان عليّ أن أنتظر عدة ساعات ترانزيت.صعدتُ إلى الكافيتريا القريبة لفنجان القهوة وتزجية بعض الوقت.. كانت أمامي بضع ساعات لإقلاع طائرتي في الفجر ..كنتُ مرهقاً بعض الشيء فاستلقيت على مقعد جلدي مستدرجاً شيئا من النوم. لاحظت على مسافة مني شاباً بملامح عربية يسترق النظر إليّ بين فينة وأخرى. قلت في نفسي، لعله من رجال المخابرات الذين يتابعونني..أية مخابرات؟ لا يهم قد يكون أحدهم وكفى.. ولأنني مرهق بعض الشيء فقد غفوتُ ولم أستيقظ إلا على صوت آلة التنظيف الكهربائية في ساعات الفجر الأولى. كان الشاب بملامحه العربية مازال هناك.. وقبل أن أسأله عن معنى مراقبته لي، دنا مني بتحية الصباح، مردفاً بأنه عرفني ورغب في الحديث إلي لكنه خشيَ أن يكون مزعجاً لي. وحين طمأنته أنني أرحب به، قال: أنا فلسطيني من غزة. ضايقني الاحتلال فهربتُ الى الضفة الغربية. لاحقوني هناك فهربت الى الأردن، ولاقوني هناك فهربت الى اليمن الجنوبي ثم انتقلت إلى صنعاء وهناك شكّوا في أمري وكأنني جاسوس للجنوبيين ووضعوني على طائرة مسافرة إلى السودان. ورفض السوادنيون استقبالي ووضعوني على طائرة متوجهة إلى براغ. ومن براغ حملوني على طائرة قدمت بي إلى هذا المطار، وأخبرتني سلطات أمن المطار أنها سترحلني إلى أفغانستان أو باكستان بعد ساعات، ولا أعرف ماذا سيفعل بي المسؤولون هناك ولا أعلم إلى أين سيؤول مصيري وأي بلد سيقبل استضافتي إلى أن يفرجها علينا ربنا ويحلها حلال. قلت له إنه جزء طبيعي من الحالة الفلسطينية غير الطبيعية. وأكدت له أننا جميعاً وفي كل مكان على لائحة ”برسونا نون غراتا“، (الشخص غير المرغوب به)، ورغم تمنعه فقد أعطيته عدة حلاقتي حين لاحظت نمو لحيته، وما ظلّ لي من أشياء قد تساعده في رحلته الجوية السريالية.. ومن ذلك الشاب الذي نسيت اسمه الحقيقي واسمه الحركي، لكنني لم أنس ملامحه التي تشبه ملامحي، منه ومن عذابه الذي يشبه عذابي كانت قصيدة ”برسونا نون غراتا“ (شخص غير مرغوب به)، التي نقرأ فيها التعبير الشعري البليغ في وصف حالة ذلك اللاجئ الفلسطيني: «طائرة، وملاك وحيد على خيمة ضائعة..!»، كما نقرأ في تلك القصيدة: ”روحي نظيفة وحزني قبيح وصبري جميل ... ولا حل في الحل حرباً وسلماً ... أنا المعضلة ..أنا الأغنيات، أنا السنبلات، أنا الراجمات أنا القنبلة .. أنا الممكن المستحيل ..لا خير غيري، ولا شرّ غيري...أنا الممكن المستحيل!“.

الحـرب فـي خلفيـة الحيـاة اليـوميـة

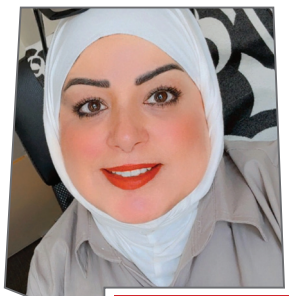

د. زهراء المنصور

في أوقات التهديد؛ لا تتوقف الحياة، لكنها تفقد براءتها. التفاصيل الصغيرة المعنيَّة بحديث عابر، ضحكة غير مكتملة تتبدد بقلق من أي صوت غير معتاد، ويوحي بخطورة. هذا الصوت ليس حاضراً بما يكفي ليُرى، ولا غائباً بما يكفي ليُنسى. هكذا تتحول الحرب، في بعض تمثيلاتها الدرامية، من حدث صاخب، إلى أثر خفي؛ من صورة مركزيةً، إلى صوتٍ يرافِق الحياة دون أن يوقفها.

ليست كل الحروب معروضةً على الخشبة أو الشاشة بوصفها انفجارات ومواجهات مباشرة. ثمة نوع آخر من الحضور، أكثر مراوغة وأشد تأثيراً: حرب لا تُرى، بل تُسمع. صفارات بعيدة، نشرات أخبار عابرة، تنبيهات متكررة، أو حتى صمت ثقيل يتخلله قلق غير مُسمّى. في هذه الحالة، لا تكون الحرب هي الحدث، بل هي ما يحيط بالحدث، ما يتسرّب إلى تفاصيله الدقيقة دون أن يحتل مركزه، وليست كل الحروب خارجية! بعضها يأتي من أقرب الناس الذين يرون في وجهة نظرك خيانة لا تناسب آراءهم المتطرفة والحاسمة، وآخرون –عبر البعد– ينقلون الأخبار المثقلة بالسوء باعتبار أن المنطقة كلها في كف حسابات الحرب، ولا بأس من خسائر بشرية أو مادية؛ لأنها جزء من تكلفة «أي حرب»!

تبدأ الحرب في اتخاذ شكلها الأكثر خطورة حين تفقد قدرتها على الصدمة، وتتحول إلى خلفية، إلى ضجيج منخفض يرافق تفاصيل الحياة اليومية دون أن يعطلها! ننهض، نعد قهوتنا، نتابع الأخبار، ونواصل يومنا كأنَّ شيئاً لم يكن، أو كأنَّ كل شيء يمكن احتماله. في هذا السياق، تأتي مسرحية stuff happens بوصفها تفكيكاً دقيقاً للغة التي تجعل من الكارثة أمراً عابراً؛ حيث

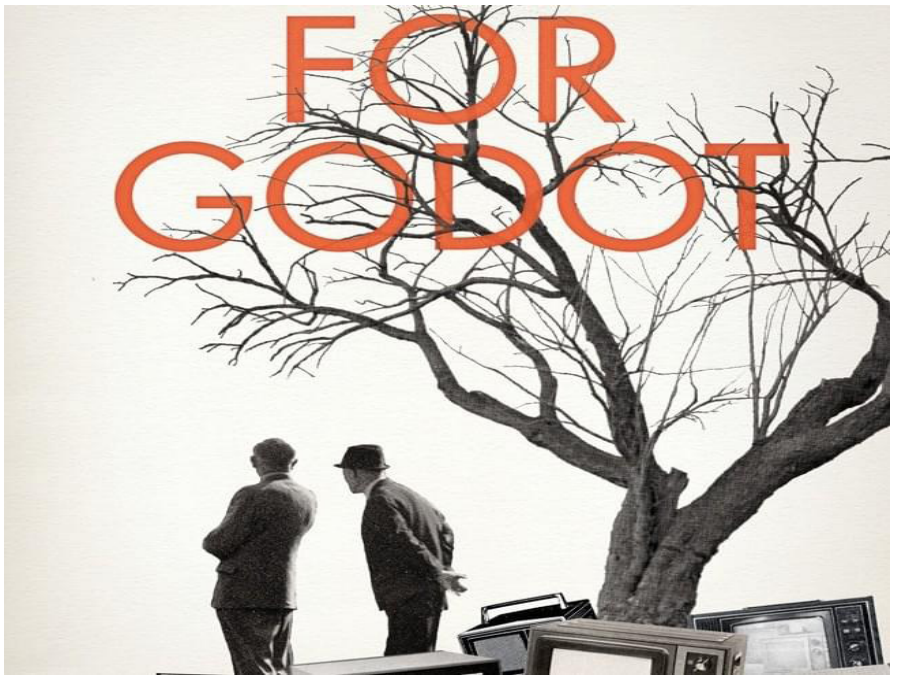

تعود إلى وقت ما بعد غزو/ احتلال العراق في العام 2003م، حين سُئل رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي آنذاك، عن نهب بغداد، بما في ذلك المتحف الوطني، فجاء رده بجملة ستبدو في بساطتها كأنَّها خلاصة عصر كامل: I have seen the pictures.. stuff happens " رأيت الصور، وهذه أشياء واردة الحدوث!! وهذه ليست جملة تفسير، بل جملة إلغاء؛ إلغاء للصدمة وللمسئولية، وللفارق بين ما يجب أن يحدث، وما لا يجب، وكأنَّ اللغة هنا لا تصف الواقع، بل تعيد تشكيله ليصبح محتملاً، قابلاً للهضم، وربما النسيان! هكذا لا تعود الحرب لحظة استثنائية، بل حالة ممتدة تعاش بهدوء، وتقال بجملة عابرة، وتقبل تدريجياً كجزء من إيقاع العالم.

ربما لا تكمن فداحة الحرب في قدرتها على التدمير. فالتاريخ اعتاد الخراب! بل

في قدرتها على أن تعلمنا كيف نتعايش معه دون أن نرتجف؛ أن نرى الصورة ثم نكمل يومنا، أن نسمع الخبر ثم نبحث عن شيء آخر. في هذه المسافة الصغيرة –بين ما يحدث، وما نشعر به– يتسلل التحول الأخطر: أن يفقد الإنسان حساسيته تجاه ما يجب ألا يحتمل، لا لأنه قاس، بل لأنه تعلم تدريجياً كيف يحمي نفسه من فائض الألم، حتى لو كان الثمن هو تآكل إدراكه الأخلاقي. وهنا لا تعود المشكلة في الحرب ذاتها، بل في اللغة التي تروِّضها، وفي العبارات التي تخفف وقعها، وتحولها من مأساة إلى «شيء وارد الحدوث»، كأنَّ العالم في لحظة ما لا يبرر العنف بقدر ما يعتاد عليه.

هذا التحوّل من المرئي إلى السمعي، ليس تفصيلاً تقنياً، بل اختياراً جمالياً يعيد ترتيب علاقة المتلقي بالخطر. فالصورة، مهما بلغت قسوتها، تظل محددة بإطار؛ إذ يمكن النظر إليها أو الانصراف عنها. أما الصوت المتمثل

في جملة لم يدرك صاحبها أن تُخلَّد على هذا النحو من السوء في التاريخ، فيتجاوز الحدود، ويتسلل إلى الداخل، ويصعب تجاهله. إنه لا يقدّم الحرب بوصفها مشهداً، بل بوصفها حالة من الاعتياد والقبول، والترقّب المستمر، والقلق الذي لا يبلغ ذروته، ولا ينتهي.

كل الأفعال اليومية المعتادة محاطة دوماً بإحساس خفي بأن شيئاً ما يمكن أن ينكسر في أي لحظة. الاستمرار هنا لا يُقرأ بوصفه تجاهلاً، بل بوصفه شكلاً من أشكال المقاومة الهادئة؛ إصراراً على الحفاظ على إيقاع الحياة رغم اختلال العالم. ومع تكرار هذا «الصوت الخلفي»، يحدث ما يمكن تسميته بتطبيع القلق. لا يعود الخوف حالة استثنائية، بل يصبح جزءاً من النسيج اليومي، يتسرّب إلى الجسد دون إعلان: في توتر خفيف في الكتفين، في صمت مفاجئ وسط حديث، في نظرة عابرة نحو مصدر صوت غير مرئي. هنا، لا يحتاج الأداء إلى مبالغة؛ يكفي أن يكون مشدوداً قليلاً، متردداً قليلاً، ليحمل أثر ما لا يُقال.

الأكثر إثارة في هذا النمط من المعالجة هو إزاحة المركز الدرامي. فبدل أن تتصدر الحرب بوصفها الحدث الأكبر، تُدفع إلى الخلف، بينما تتقدم التفاصيل الصغيرة إلى الواجهة. يصبح المهم ليس ما يحدث «هناك»، بل كيف يُعاش «هنا». هذا التحول يطرح سؤالاً نقدياً جوهرياً: هل تكمن قوة الدراما في تمثيل الأحداث الكبرى، أم في كشف أثرها الخفي على اليومي والهش والعابر؟ في هذه الأعمال، لا تأتي الهشاشة من الانفجار، بل من احتماله. كل شيء يبدو مستقراً، لكنه استقرار مشروط، مؤقت، قابل للانهيار في أي لحظة. وهذا ما يمنح المشهد توتره الحقيقي: ليس ما نراه، بل ما نخشاه أن يحدث. إن التهديد، حين لا يتحقق بالكامل، يظل حاضراً كظل طويل يرافق الشخصيات، ويعيد تشكيل سلوكها، دون أن يفرض نفسه بشكل مباشر.

هكذا، تتحول الحرب من مركز صاخب إلى هامش مسموع، ومن حدث يُشاهَد إلى أثر يُحسّ. وفي هذا التحول، تكشف الدراما عن قدرتها على التقاط ما هو أبعد من الصورة: عن قدرتها على الإنصات لما يتسرّب، لما لا يُقال، لما يختبئ في المسافة بين صوت بعيد وتفصيلة يومية عابرة. لعل أكثر ما يميز هذا الطرح أنه لا يسعى إلى تمثيل الحرب، بقدر ما يسعى إلى فهم ما تفعله بنا حين لا نكون في قلبها المباشر. كيف تغيّر علاقتنا بالزمن/ بالبيت/ وبالآخرين الذين يتهمونك بالجهل والتطبيل والعمالة لأي رأي مغاير لهم! وحتى بالروتين اليومي الذي شكونا منه على الدوام، وكيف نشتاق له! كيف تجعل من العادي مشروطاً، ومن المألوف هشاً، ومن الصمت مساحة مشحونة بالمعنى.

وأيضاً يستدعي هذا النمط من الانتظار والترقب العبثي ما جاء في المسرحية الشهيرة التي يأتي ذكرها في أوقات مشابهة لهذا الوقت؛ «في انتظار جودو»! داخل النص، لا حرب تُرى، ولا خطر يُسمّى بشكل مباشر، ومع ذلك يهيمن إحساس دائم بأن شيئاً ما مؤجل، أو ربما لن يأتي أبداً. الانتظار نفسه يصبح فعلاً درامياً، والزمن يمتدّ بلا غاية واضحة، فيما تتكرر الأفعال اليومية بشكل شبه دائري، كأنَّها محاولة لملء فراغ لا يمكن احتواؤه. هذا التوازي يكشف أن الخطر، حين لا يتحقق، لا يفقد أثره، بل يتحول إلى بنية خفية تحكم الإيقاع كله. فكما ينتظر فلاديمير وإستراغون حدثاً غامضاً لا يصل، تعيش بعض الشخصيات الدرامية المعاصرة تحت وطأة تهديد لا يتجسد بالكامل، لكنه يعيد تشكيل علاقتها بالزمن، وبالمعنى، وبفكرة الاستمرار نفسها. هنا، لا تكون الحرب حدثاً يُروى، بل احتمالاً يُعاش؛ احتمالاً يعلّق الزمن، ويجعل من اليومي فعلاً مؤقتاً، ومن العادي مساحة مشحونة بما لم يحدث بعد.

حين تتراجع الحرب إلى الخلفية، لا تختفي، بل تصبح أكثر تسلّلاً، وأكثر قدرة على إعادة تشكيل الحياة اليومية بهدوء مقلق، وربما في النهاية لا يكون السؤال: لماذا تحدث الحروب؟ بل؛ كيف أصبحنا قادرين على العيش وكأنَّها لا تعنينا بالكامل، ولا تهمُّنا تبعاتها؟ ذلك أخطر ما يمكن أن تفعله الحرب، هو أن لا تغير فينا شيئاً.

وربما، في هذا الهدوء تحديداً، تكمن أكثر تمثيلاتها صدقاً.

Stuff Happens, David Hare,digitized by internet archive in 2017 with funding from kahle Austin foundation

لماذا نحتاج إلى فاطمة المرنيسي اليوم؟

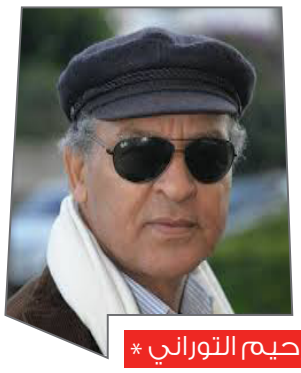

عبدالرحيم التوراني *

مع نهاية العام ٢٠٢٥، يكون قد مضى عقدٌ كامل على رحيل الكاتبة وعالِمة الاجتماع المغربيّة الفذّة فاطمة المرنيسي (١٩٤٠ – ٢٠١٥). عشر سنوات مضت، والساحة الفكريّة العربيّة والعالميّة لا تزال تَستحضر هذه القامة التي لم تكُن مجرّد باحثة أكاديميّة، بل كانت «هزّة فكريّة» زلزلت الرواكد الاجتماعيّة والسياسيّة.

رَحلت المرنيسي وهي في الخامسة والسبعين من عمرها، لكنّها تركت خلفها مدرسةً في القراءة النقديّة، ومَنهجًا في الحياة يَرفض الخنوع للتقاليد العمياء، ويَحتضن الحداثة من دون التفريط في الأُسس التاريخيّة.

ففي الذكرى الأولى لرحيلها، في العام 2016، تمّ التدشين الرسمي لكرسي فاطمة المرنيسي في مقرّ رئاسة جامعة محمّد الخامس في الرباط. لم يكُن الكرسي مجرّد مسمّى، بل صار فضاءً لتنظيم ندوات دوليّة ناقَشت العلاقات بين الجنسَيْن، رهانات الديمقراطيّة ودَور الشباب في زمن العَوْلمة. وبذلك تحوَّل الكرسي المذكور إلى جسر يَربط بين الأكاديميّين من جهة، والفنّانين والفاعلين المدنيّين والشباب من جهةٍ أخرى، تمامًا كما كانت كاتبتنا تفعل في ورشاتها الميدانيّة.

من أسوار «الحريم» إلى رحابة السوسيولوجيا

وُلدت فاطمة المرنيسي في قلب مدينة فاس في العام 1940، ونَشأت في وسط تقليدي محكوم بأسوار واقعيّة ورمزيّة وَصفتها لاحقًا في كتاباتها بـ «الحريم». غير أنّ هذه التقاليد التي طوَّقتها في طفولتها لم تَنجح في ترويض عقلها المتوقّد، إذ بفضل التعليم استطاعت التحرُّر والعبور إلى ضفّة المعرفة الكونيّة.

انطلقتْ رحلتُها الأكاديميّة من دراسة العلوم السياسيّة في جامعة السوربون في فرنسا، ثمّ انتقلت إلى جامعة «براندیز» في الولايات المتّحدة الأمريكية ، حيث نالت شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع في العام 1973. هناك، وضعتْ أولى لبنات مشروعها الفكري من خلال أطروحتها الرائدة: «ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعيّة». كانت هذه الأطروحة بمثابة إعلان رسمي عن ولادة باحثة قادرة على استخدام أدوات علم الاجتماع الغربي لتفكيك البنيات الأبويّة في المجتمع العربي الإسلامي.

يرى الشاعر والرئيس السابق لجمعيّة كتّاب المغرب حسن نجمي، أنّه بعد عشر سنوات من رحيلها «يُمكننا أن نُدرك بشكل أفضل مدى مركزيّة دورها». ويُشدّد نجمي على أنّ «استقلاليّتها» هي الميزة الجوهريّة التي جَعلت من المرنيسي رمزًا فكريًّا استثنائيًّا في المغرب.

لم تكُن استقلاليّة المرنيسي مجرّد شعار، بل كانت مُمارَسة يوميّة صلبة، إذ لم تَقبل جائزةً من الدولة قطّ، وظلّت مُحتفظة بمسافة نقديّة تمنحها القدرة على قول الحقيقة. وخلال «سنوات الرصاص» القاسية في عهد المَلك الحسن الثاني، أظهرت شجاعةً إنسانيّة وأكاديميّة نادرة، حيث كانت تدعو زملاءها المعزولين من مناصبهم الجامعيّة للمُشارَكة في المؤتمرات والورشات، متحدّيةً بذلك سياسات الإقصاء. لم تستهوِها الأموال الخارجيّة، ولم تُثبِط عزيمتَها الضغوطُ

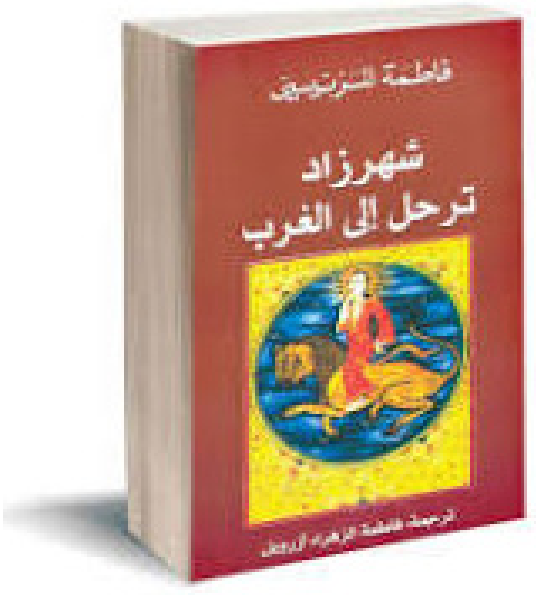

السياسيّة، بل ظلّت وفيّة لمبادئها حتّى في أحلك الظروف.

من أبرز تجليّات هذه الاستقلاليّة وصمودها أمام السلطة، معركة كتابها «الحريم السياسي..» (المُترجَم باسم «الحجاب والنّخبة الذكوريّة»). نُشر الكتاب في العام 1987، وتسبَّب في زلزال فكريّ أدّى إلى حظْره في المغرب وفي العديد من الدول العربيّة لأكثر من عقد من الزمان.

في هذا الكتاب، لم تكُن فاطمة المرنيسي تُهاجِم العقيدة الدّينيّة البتّة، بل كانت تفكّك «النخبة الذكوريّة» التي احتكرت تفسير النصّ الدّيني لقرون. جادلت بأنّ التهميش الذي تُعاني منه المرأة ليس متأصّلًا في جوهر الرسالة النبويّة، بل هو نتيجة قراءات نفعيّة قامَ بها رجالُ السلطة والفقهاء لترسيخ سلطتهم السياسيّة والاجتماعيّة. هذا الحظْر كان قد دَفعها في مرحلة سابقة لنشْر كتابها «المرأة في اللّاوعي الإسلامي» في فرنسا تحت اسمٍ مُستعار هو «فاطنة آيت الصباح» (1982)، لتُثبت أنّ الفكرَ الحرّ قادرٌ على التسلّل عَبْرَ الثغرات مهما أحكمت الجدران. كانت ممارستها الفكريّة صلبة، حرّة ومنسجمة مع قناعاتها العلميّة يوميّاً، فلم تَقبل أيّة إغراءات ولا أيّة «مساومات حجيّة» لتغيير موقفها.

كانت المرنيسي على وعي نافذ بـ «الفخّ» الذي يَقع فيه المحلّلون لدى مناقشتهم قضايا المرأة المسلمة. كتبتْ منتقدةً السطحيّة والتسطيح في الطرح: «هل توجد حركة تحرُّر نسائي ناشئة كتلك التي تَظهر في الدول الغربيّة؟»، ثمّ تَستطرِد موضحةً أنّ هذا النّوع من الأسئلة حَجَبَ لعقودٍ تحليلَ وضع المرأة المسلمة وشوَّهه.

هكذا، رَفضت المرنيسي أن تظلَّ المرأة المسلمة رهينةً لـ «مُقارنات عبثيّة» واستنتاجات غَير مَبنيّة على أُسس سليمة. واعتَبرتْ أنّ تقليد مُقارَنة المرأة المسلمة بالمرأة الغربيّة يَعكس نمطاً استعلائيًّا في الشرق والغرب في آنٍ معًا، حيث تتحوّل المسألة من تحليلٍ حقوقي وسوسيولوجي إلى صراعٍ حول «مَن هو أكثر تحضُّرًا ممَّن؟». بالنسبة إليها، التحرُّر هو سيرورة ثقافيّة داخليّة تَنبع من فهْمِ الذّات والتاريخ، لا من مجرّد مُحاكاة أنموذجٍ خارجيّ.

في جبال
الأطلس وهوامش المُدن

لم تكُن استقلاليّة فاطمة المرنيسي لتَكتمل من دون انغماسها الكلّي في «ورشات الكتابة المُواطِنة»، حين نَقلتِ المختبرَ السوسيولوجي من أسوار جامعة محمّد الخامس إلى شعاب جبال الأطلس وهوامش المُدن. من خلال «قوافلها الثقافيّة»، حوّلت الفئات المهمّشة من موضوعاتٍ للدراسة إلى ذواتٍ فاعلة ومتفاعلة تكتب بيدَيْها آفاقَ رؤيتها وأمداءَ تاريخها.

آمنتِ المرنيسي بضرورة «إعطاء الكلمة لمَن لا صوت لهم»، فعلّمت النساء النسَّاجات في مناطق جبال الأطلس أنّ وراء كلّ خَيطٍ في السجّاد «حكاية مواطنة» يجب أن تُحكى وتُوثَّق. كانت هذه الورشات هي الردّ العمليّ لها على «الحريم الرمزيّ»، فبالكتابة والتدوين، مَنحتِ المُهمَّشين مفتاحَ الخروج إلى الفضاء العامّ، محوِّلةً الفعل الأكاديميّ إلى فعلٍ نضاليّ يوميّ يُعيد بناء المُجتمع من الأسفل إلى الأعلى.

بَعد رحيلها، لم يَنقطع أثرُها الدّالّ والعميق بفضل جهود مثقّفين آمنوا برسالتها، وعلى رأسهم الكاتب والمسرحي إدريس كسيكس، أحد مؤسّسي ومنسّقي «كرسي فاطمة المرنيسي»، الذي ظلّ حريصًا على عدم تحويل المرنيسي إلى أيقونةٍ جامدة، بل كان يدعو إلى أن نَجعل منها مصدرًا للإلهام المُستمرّ.

يُسلِّط كسيكس الضوءَ على «أسلوب حياة» المرنيسي كباحثة ميدانيّة رَفضتِ العزلةَ الأكاديميّة، مُستلهمًا روحها في تفتيت الصمت ومُساءَلة الذاكرة من خلال أعماله الإبداعيّة.

من جانبها، تُقدِّم د. أسماء بنعدادة قراءةً أكاديميّة رصينة لمنهجيّة المرنيسي، مُشيرةً إلى أنّها زاوَجت بين المنهج التاريخي التحليلي والمنهج الميداني السوسيولوجي. تؤكّد بنعدادة أنّ المرنيسي علّمتنا أنّ المشكلات اليوميّة للمرأة لا يُمكن فهْمها بمعزلٍ عن الخلفيّات الثقافيّة والدّينيّة التي ترسّخت فيها «الأبويّة وخيالاتها."

من المُثير للدهشة أنّ فاطمة المرنيسي، في سنواتها الأخيرة، انفتَحت على «الثورة الرقميّة»، وكانت تؤمن بأنّ الإنترنت سيقلب موازين القوى في العالَم العربي. اشتغلت في مشروعها الأخير على كيفيّة تأثير الفضاء الرقمي في كسْر احتكار النُّخب للخطاب الدّيني والإعلامي.

وبحسب أسماء بنعدادة، فإنّ هذا المشروع الذي لم يَكتمل بسبب الوفاة، كان يَطمح إلى رصْد دَور الشباب في العوْلمة الرقميّة كأداةٍ للتحرُّر الشعبي بعيداً من الرقابة التقليديّة.

شهرزاد أخرى

بَعد عشر سنوات على رحيلها، وفي ظلّ التحدّيات التي يُواجهها العالَم المُعاصِر من صعود للتيّارات المُحافظة وتحوّلات العوْلمة، تبدو أفكار فاطمة المرنيسي أكثر راهنيّة من أيّ وقت مضى. علّمتنا أنّ «الحريم» ليس مكاناً جغرافيًّا، بل هو حالة عقليّة، هو الخوف من الاختلاف، والخوف من التفكير، والخوف من الحريّة.

فاطمة المرنيسي، بجرأتها وشجاعتها الفكريّة تظلّ حيّة بيننا. إنّها شهرزاد التي لم تَحكِ الحكايات لتنجو من الموت ليلة واحدة، بل حَكتْ وفكّكتْ وحلّلتْ لكي تَمنح أجيالاً من النساء والرجال في دنيانا العربيّة حقَّ النجاة من دياجير الجهل والاستبداد.

في ذكرى رحيلها العاشرة، نُدرك أنّ استقلاليَّتها وصمودَها كانا البوصلة التي لم تَحِد أبدًا عن الطريق نحو فجر الكرامة.

* كاتب من المغرب

محمد علوش *

ملحمة الأرض

على هذه الأرضِ التي لا تُروَّضُ،
يقومُ فؤادٌ في العواصفِ ينهضُ.

تميدُ الليالي حولَهُ وهو شامخٌ،
كأنَّ بهِ سرَّ الخلودِ يُفوِّضُ.

إذا ضاقَ صدرُ الريحِ فيه، تمدَّدتْ
جراحٌ، ولكنَّ الجراحَ تُهذِّبُ.

وتنبتُ في صخرِ الدروبِ عزيمةٌ،
إذا مسَّها ليلُ المحَالِ، توقَّدوا.

رأى العابرونَ الأرضَ سهلاً، فزلزلتْ
خطاهم، وأمسى وهمُهم يتبدَّدُ.

تمرُّ الجيوشُ الغابراتُ كأنَّها
سحابةُ صيفٍ، ثم تمضي وتخمدُ.

ويبقى ترابٌ يعرفُ الاسمَ واحداً،
إذا ناداهُ الطفلُ فيهِ يُجدِّدُ.

لهُ البحرُ مرآةُ العنادِ، إذا طغى،
أجابَتْهُ أمواجٌ بهِ تتجَدَّدُ.

لهُ الزيتُ — زيتونُ القرون — شهادةٌ
بأنَّ الذي في الجذرِ لا يتبدَّدُ.

فلا تنحنوا، إنَّ الرياحَ عوابسٌ،
ولكنَّ صدرَ الحرِّ أوسعُ وأجلدُ.

سيولدُ من بينِ الركامِ تباشُرٌ،
ويُشرقُ فجرٌ في المدَى يتجدَّدُ.

وهذا وطنُنا، كلَّما مسَّهُ الأسى،
أعادَ من الآلامِ مجداً يُشيَّدُ.

سنمضي، ولو طالَ الطريقُ، لأنَّنا
نعرفُ أنَّ الحقَّ لا بدَّ يُقصَدُ.

شاعر من فلسطين

«لعبة الملاك» لكارلوس زافون

الكتابة لعنة أم وسيلة للخلاص؟

حميد الملا

«لعبة الملاك» لكاتبها كارلوس زافون هي الجزء الثاني من رباعية «مقبرة الكتب المنسية»، لكن يمكن اعتبارها رواية منفصلة، على الرغم من ارتباطها العضوي ببقية السلسلة: «ظل الريح»، «لعبة الملاك»، «متاهة الأرواح»، «سجين السماء»، وتقع الرواية في ٦٧٨ صفحة من الحجم المتوسط، صدرت عن منشورات الجمل في العام ٢٠١٧، وتتألف من ثلاثة أقسام كبرى وتنتهي بخاتمة، وكل تقسيم يعكس التطور النفسي والفكري للشخصية الرئيسية، وكل عنوان يحمل دلالة رمزية: مدينة الملاعين، النور الأبدي، لعبة الملاك، خاتمة ١٩٤٥.

تدور أحداث الرواية في مدينة برشلونة خلال عشرينيات القرن الماضي، قبل اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية في العام 1936-1939، وتتكون من شبكة موضوعات يتداخل فيها الأدب كعنوان رئيسي إلى جانب متلازمة الإيمان والشيطان والطموح والثمن الذي ندفعه مقابل ذلك، إلى جانب الوحدة المدمرة "الوحدة رفيقة من يكتب أكثر مما يعيش."

يحيلنا الكاتب في هذه الرواية إلى القدر والأدب كلعنة من خلال بطل الرواية ديفيد مارتين، الكاتب الشاب المهووس بالكتابة منذ نعومة أظفاره، تشغله الكتابة إلى الحد الذي تستهلك فيه روحه وجسده معاً، ومع ذلك يعتبرها خلاصاً من الفقر والضياع، يكتب ليعيش ثم يعيش فقط ليكتب، حتى يصبح أسيراً للكلمات. تتغير حياة ديفيد مارتين بدخول شخص في حياته، اندرياس كوريللي ليعرض عليه صفقة تتمثل في كتابة كتاب غامض ديني – روحي، له القدرة على التأثر في عقل الناس، يصفه كوريللي بأنه كتاب "القدرة على التحكم في البشر" أو كتاب "الإيمان والخوف معاً" مقابل ثروة ضخمة تخلده كأديب معروف لا يضاهيه أحد من كبار الكتاب.

عند هذا الحد لا يوضح لنا الكاتب من يكون كوريللي: هل هو ملاك، أم شيطان، أم شيء آخر قد يكون وهماً. "الشر لا يصرخ، أحياناً يهمس بلطف."، ما يصيب القارىء بغموض حول طبيعة هذه الشخصية، للتوالي الأحداث ويصل الكاتب في سرده لحوار فلسفي يتعلق بالتشكيك في المؤسسات الدينية، ليطرح سؤالاً تعجيزياً خطيراً: هل الإيمان يولد من النور أم من الخوف؟

بعد كثير من العناء يكتشف القارئ بأن الكتاب الذي يطلب من ديفيد مارتين كتابته ليس بريئاً، بل قد يغير كثيراً من اليقينيات في عقول البشر، وقد يقلب حياتهم إلى جحيم من التساؤلات المشروعة وغير المشروعة، يزرع في قلوبهم الخوف، لأن المعرفة أحياناً أخطر من الموت نفسه وقد تعود بك إلى التهلكة، فيصبح الكتاب كائناً حيّاً يتفاعل مع الكاتب والقارئ على حدٍ سواء، من خلال تداخل الواقع بالخيال: "كل حرف أقومُ بكتابته يصبح صدىً يتردد في أزقة برشلونة المهجورة، في المكتبات التي لم تلمسها الشمس منذ عقود، كل كلمة أكتبها تحمل صرخة لا يسمعها إلا من يقرأ بين السطور."

مطلوب من الكاتب ديفيد مارتين أن يجعل الكتاب المطلوب مثيراً للدهشة والفضول والخوف في آن واحد، ليكون

إذا فشل ديفيد في السيطرة عليه "سلاحاً بين اليدين الخاطئتين."، كأن مؤلف الرواية كارلوس زافون يودّ أن يبين لنا شخصية ديفيد مارتين، فكل ما يكتبه يعكس صراعاته الداخلية: "الكتب مرايا: لا ترى فيها إلا ما بداخلك." ما يكتبه يقوده خطوة نحو التحول أو الهلاك لدرجة أنه يبدأ بالشك في واقعه وفي نفسه، واستخدام هذا الكتاب أيضاً كأداة سردية تظهر صراع البطل بين الطموح والخطر.

تحمل "لعبة الملاك" رسائل رمزية عديدة، عميقة من حيث المحتوى إحداها بأن الكتابة سلاح ذو حدين، أي قد تكون نعمة أو لعنة، من خلال تصويره إياها كقوة هائلة قادرة على الخلود أو قد تدّمر صاحبها، ومن هنا يسوق لنا مثلاً، ديفيد مارتين ككاتب يكتب ليحيا، ليكتشف أن ما يكتبه يستهلكه، بل يلتهمه ويقضي عليه ببطء "الكتابة وعدّ بالخلود... قد يكون ثمنه الحياة نفسها"، ومن رسائل الرواية أن للطموح ثمن ويحذرنا بالخصوص من الطموح الأعمى، والسعي وراء الشهرة الذي قد يدفع بالكاتب إلى عقد صفقات خفية خاسرة تطيح بإنسانيّته في نهاية المطاف.

يمكن أن نستخلص من الرواية أيضاً أن الشر لا يأتي في صورة شيطان وشخصية أندرياس كوريللي مثال على ذلك، فقد صوّره كارلوس زافون بأنه مهذب، مثقف، فالمعرفة أيضاً تعتبر سلاحاً ذا حدين، كلما عرف ديفيد أكثر غاص أعمق، وبأنّ الخلود وهم إذا ما ارتبطت بالحالة النفسية للكاتب، فما الفائدة من أن تبقى كلماتك حيّة إذا ما كانت نفسك هامدة وميتة.

كما أن الكاتب يحذرنا من أن الحب لا يأتي بالمستحيل أو كحل سحري، بل أحياناً يصبح مرآة عاكسة لهشاشة الإنسان وعجزه، ومثال على ذلك علاقة الحب بين ديفيد مارتين وكريستينا ساغريدو حيث تقوم على الحب من طرف واحد لتصبح من أكثر العلاقات تعقيداً وإيلاماً: "بعض القصص لا تُكتب بالحبر، بل بالألم"، فكرستينا تظهر كرمز تمثل العالم النظيف، الحياة التي لم تكتب لديفيد، ووجودها يُذكره دائماً بما ينقصه، ولهذا فإن حب ديفيد لكرستينا يزيد من وحدته بدل أن يخففها، ولهذا يبلغنا زافون: "أحياناً نحب أشخاصاً ليسوا قدرنا ... مهما كان حبنا نقياً"، ولهذا كانت كرستينا تمثل لديفيد الخلاص، النقاء، والحياة الطبيعية التي يتمنى أن يعيشها، لكنها لا تراه بالطريقة نفسها، هو بالنسبة إليها، صديق، أخ روحي أكثر منه حبيباً، يعرف في داخله هذه الحقيقة لكنه يختار التمسك بالأمل، يعيش الوهم لأن الحقيقة مرّة وقاسية جدا: "أحببتها لأنها لم تكن لي."

في المحصلة، تكشف "لعبة الملاك" عن رؤية نقدية عميقة لفكرة الطموح الإبداعي وحدود الكتابة بوصفها وسيلة للخلاص. فمن خلال شخصية ديفيد مارتين، تبرز الرواية الثمن الباهظ الذي يدفعه الفرد حين يسعى إلى الخلود الأدبي على حساب توازنه النفسي والإنساني والأخلاقي. إنها رواية عن الحُلم حين يصبح فخاً، وعن الحب حين يكون من طرف واحد وعن الكتابة حين تطلب أكثر مما تعطي، فالرواية لا تقدم إجابات حاسمة بقدر ما تفتح مجالا للتأمل في العلاقة المعقدة بين الإبداع والوحدة والاختيار الحرّ، مما يجعلها نصاً أدبياً غنياً بالرموز والدلالات، وقابلاً لقراءات نقدية متعددة، حيث تبدو "لعبة الملاك" بوصفها عملاً أدبياً غير تقليدي، طموحاً يجمع بين الغموض والبعد الفلسفيّ.

بين الأدب والسياسة

سُئل، مرّة، الكاتب المكسيكي كارلوس فوينتس، الحائز أكبر جائزة أدبية في أميركا اللاتينية، عما إذا كان بإمكان الكاتب أن يلعب دوراً في المجتمع، فرأى أنّ الكاتب، في الظروف التي يكون فيها المجتمع المدني ضعيفاً في البلد المعني، كان الناطق باسمه، حيث شغل مكان الصحافي والبرلماني والناشط السياسي والنقابي. هذا أمرٌ لم تعد له ضرورة من وجهة نظره، على الأقل في بلدان قارّته، أميركا اللاتينية، وبات متعيّناً «الاستمرار في تأكيد اللغة والخيال والكلمات والتواصل اللغوي»، فطالما أنّ المجتمع تغيّر، على الكاتب أيضاً أن يتغيّر.

إن بدا في هذا القول بالنسبة إلى بعضنا، دعوة إلى أن ينصرف الكاتب عن واجبه تجاه مجتمعه، سنكون خاطئين. ففوينتس، قال شارحاً: "تضمّ أميركا اللاتينية نحو ثلاثمئة مليون نسمة، أعمار نصف هؤلاء لا تتعدى الخامسة عشرة، أي إنهم قرّاء قادمون مفترضون، فهل يجوز للكتّاب التخلي عن تلبية حاجة هؤلاء إلى القراءة؟"، ملخصاً فكرته: "ما وجد الكتّاب إلا لهذه المهمة". وهو بهذا القول يعلو بالكتابة من مجرّد كونها تلبية لرغبة كاتب في أن يعبّر عمّا يجول في ذهنه، ليجعل منها واجباً تجاه مجتمعه.

نقرأ لبعض الأدباء قولهم إنّهم يكتبون لأنفسهم في المقام الأول، ولا يشغلهم كثيراً أمر القارئ أو المتلقي لما يكتبون. كاتب إسباني هو أجوستين فيرنانديث مايو يقول: "أكتب لنفسي، وأظنّ أنّ الكتابة للقارئ خطأ، وينبغي ألا ننسى أنّ أعظم احترام للقارئ تجاهله، والكتابة كأنّه غير موجود. كما من الغباء أن تكتب لإرضاء شخص ما، والحال ذاته مع الكتابة لإغضاب شخصٍ ما"، وهو قول لا يمكن وصفه بالخاطئ بشكل مطلق، فلعلّ الوعي السائد في المجتمعات المختلفة، يجد في ما يكتبه هذا الكاتب أو ذاك خروجاً على ما هو مستقرّ من أفكار ومفاهيم وتصورات، وإذا كانت غاية الكاتب النهوض بمجتمعه وبالفكر في وطنه أو أمته، فإنّ عليه التحلي بجرأة تجعله يصدم ما هو مستقرّ من أفكار، أصبحت عائقاً في وجه نهوض الأمة المعنية.

وفي تاريخ فكرنا العربي، قديمه وحديثه، أمثلة لا تحصى من فلاسفة ومفكرين استفزّوا السائد، لكنّ فكرهم، رغم ذلك، صمد وأحدث التغيير المنشود، رغم أنّ ما نالهم من الأذى في أزمنتهم كان كبيراً. ألم يُصلب الحلاج قبل ضرب عنقه، كما تعرض فلاسفة آخرون للتكفير والإساءة، بينهم جابر بن حيّان، والكندي، وابن سينا، والفارابي، والرازي، وابن رشد وغيرهم، وفي عصرنا الحديث لا يمكن نسيان ما تعرض له طه حسين من هجوم بعد صدور كتابه عن الشعر الجاهلي.

يصحّ هذا الجانب أكثر على مجال الفكر والفلسفة، وإن كان، في بعض أوجهه، يطاول الأدب أيضاً، ومن ذلك ما نالته من هجوم روايتا "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ، و"وليمة لأعشاب البحر" للسوري حيدر حيدر، لكننا لو تأملنا في أمر ردود الفعل تجاه الروايتين وسواهما لوجدنا أنّها ليست ردود فعل جمهرة القرّاء، بقدر ما هي تدبير من جماعات لا تطيق الفكر المختلف، ولو تُرك الأمر للقراء وحدهم لمرّت هذه الأعمال بهدوء، ودون الضجيج المفتعل ضدها وضد كاتبيها.

يقودنا هذا إلى ملاحظة أنّ زعم بعض الأدباء أنّ القارئ لا يهمّهم حين يكتبون، ينطوي على مقادير من الاستعلاء والادعاء، فلمن يكتب الكاتب إذاً، إذا كان القارئ لا يهمّه، دون أن يعني ذلك مجاراة مزاج القارئ، وإنما التمكّن من مخاطبته بلغة وأسلوب يشدّانه إلى قراءة ما كتب، وبالتالي استخلاص ما أراد إيصاله من رسالة تتضمنه.

تقول الروائية الأفروأميركية توني موريسون الفائزة بنوبل للآداب عام 1993 إنّها لمْ تفكّر في أنْ تكون سياسيَّة، لكنّها تعتقد أنَّ كلَّ فنٍّ حقيقيٍّ سياسيّ، وأنَّ تحويل أيّ شيء لا سياسياً هو فعل سياسيّ في حد ذاته. إذْ يتحدَّث شكسبير في مسرحياته عن الحكومة، والحرب، والسُّلطة، فكلُّ هذا سياسيّ في نظرها. في فترة الحرب الباردة ومناهضة الشيوعية ساد في أميركا مبدأ ألَّا يكون الفنّ إلا جماليًّا. وهكذا حُرِّف معنى كلمة (سياسة)، وتمَّت مساواتها بالدِّعاية، لذا ترى أنَّ عملها، وهي تكتب، يكمن في إحياء العلاقة بين السِّياسة والأدب بما للكلمة من معنى.

أغاني مكسورة

بتول حميد

في عيني فتات بريقٍ قديم ..
إسمه «الحنين»
***

في الحرب يتحوّل المقال إلى بلدوزر
الطائرة إلى أداة قتل
المواعيد إلى تكّات قلق
***

نحن أغاني مكسورة
تتبدى للعابرين نغماً يناغي ملل الطرقات
وللآبهين قصيدة خام
لرجلٍ لم يفتعل الكلام
ووصّموه بالتأتأة
***

وجل طموحي
أن أقلّم كل انفعالاتي
وأهذب كل مشاعري
لأختصرها في عاطفةٍ عالية
لا تأبه لهم صغير
لا تضيرها ضغينة تافهة
لا يرف جفنها لحسدٍ كتوم
ولا يحزنها حنانٌ باهت
***

وحين يطوق ذراعك عنقي
أودّ لو أرفع شعري عالياً
كأنّ كل الكون تحته

حديقةٌ سرّية

عائشة الكعبي

أخبئك في قلبي
مثل حديقةٍ سرية
ألوذ بها
حين يشتد القصف.

***

حين تمطر السماء دوياً
أعزف معك
هديل حمامةٍ عاشقة
تلقي بثقل صدرها كلّه
على غصنٍ رصين
يعرف كيفَ يعانق حمامته
في هدوء تام
لا يخدشه طنين مُسيّرة
ولا انفلات صاروخ!

أخبئك في قلبي
لكي أمنحه سبباً وجيهاً
لمتابعة نبضه
وأنتظر سماع اسمك منه
كلما جفل بين أضلعي
من شدة القصف.

***

أخبئك في قلبي
لأنني لست معتادةً على الحروب
والملجأ الوحيد الذي أعرفه
هو تلك الحديقة السرية
التي تزهر في قلبي
كلما اشتقت إليك.

التقدمي

التقدمي العدد 221 ـ إبريل 2026 السنة 24 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

هــوى البحــريــن

علي الشرقاوي

فهموا بس شنو البحرين؟

البحرين
لو بس ندري ش البحرين
هالبحرين في الدنيا
مثل أي طير
ما يقدر يصل عالي بلا جناحين
البحرين من نطت على التربه
لها واله
جسد واحد وله قلبين
هالبحرين عين القلب وقلب العين
هالبحرين في العالم جزيرة حب
ومن طبع الجزر مفتوحه للزرقه
وما اظن البياض اللي رفعها ف يوم
بيفرق ما بين اثنين

هالبحرين، حسوا بها،
وشموها، ولمسوها
ودشوا من ورا المعنى
وشوفوها بحر يحضن بحر
لما البحر يطلع على الدنيا يصير اثنين
هالبحرين في قلبي
أحس بها سفينة نوح
تحمل في خلاياها
من احلام الفضا زوجين
ما احتاج تسألني ولا أسأل
كل أزمه ولو طالت مردها تنتهي بالحل
كل شي ينتهي ويمضي
وما يبقى بعدنا إلا هوى البحرين

(2011)

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com